الجدل والمجمل والمبين
في القرآن الكريم

د / مريم عبد الحميد محمد
الأستاذ المساعد بالكلية
قسم التفسير وعلوم القرآن

المقدمـــــة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الذى بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

وبعـــــد..

فلقد كان القرآن الكريم هو المعجزة التى أيد الله بها نبيه محمداً ﷺ، والدستور الذى أنزله الله لعباده، فقضى به على الضلالة وبدد به ظلمات الجهالة، قال تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّـهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[1]. وفى القرآن الكريم قواعد عامة وأصول جامعة وآيات محكمات، وأُخر متشابهات، ولقد وكل الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بيان ذلك لأمته حتى تكون على علم بكتاب الله عز وجل، قال تعالى مخاطباً نبيه محمدًا ﷺ: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2].

ومن هنا كانت منزلة السنة من القرآن الكريم منزلة المُبَيِّن من المُبَيَّن، وهى فى حقيقة أمرها وحى من الله يجب اتباعه، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[4]. ولذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما أساس الدين ودعامته وعليهما تقوم دعوة الإسلام، ومن أجل ذلك عنى العلماء قديماً وحديثاً بكل ما يتعلق بكتاب الله عز وجل عناية بالغة، فأفردوا له المصنفات واستخرجوا منه ما يشرحه، ويقرب فهم معانيه للعامة والخاصة، كما عنوا بسنة النبى ﷺ، فرعوها حق رعايتها، وقاموا على حفظها وتدوينها، وتدريسها، وجعلوا للرواية أصولاً تقوم عليها، وللرواة شروطاً لابد من توافرها فيهم، وصدق الله العظيم القائل فى كتابه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[5]، والقائل عن نبيه محمد ﷺ ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[6] فحفظ كتاب الله عز وجل وحفظت سنة النبى ﷺ.

---

(١) سورة المائدة الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) سورة النحل الآية ٤٤.

(٣) سورة النجم الآيتان ٣، ٤.

(٤) سورة الحشر الآية ٧.

(٥) سورة الحجر الآية ٩.

(٦) سورة النجم الآيتان ٣، ٤.

ولقـــد وفقنى الله عـــز وجـــل باختيار موضوعين من موضوعات علوم القـــرآن وهمـــا: الجدل فى القرآن الكريم، والمجمل والمبين فى القرآن الكريم.

وقسمت البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: جدل القرآن الكريم.

وفيه ثمانية مباحث:

١- المبحث الأول: تعريف الجدل.

٢- المبحث الثانى: أنواع الجدال.

٣- المبحث الثالث: حكم الجدال شرعاً.

٤- المبحث الرابع: آداب الجدال.

٥- المبحث الخامس: عرض لبعض صور الجدال فى القرآن الكريم.

٦- المبحث السادس: عرض جدال بعض الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم.

٧- المبحث السابع: عرض أدلة نبوة سيدنا محمد ﷺ وعرض بعض أمثلة من مجادلة قومه وأهل الكتاب معه.

٨- المبحث الثامن: أمثلة من مناظرة الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

الفصل الثانى: المجمل والمبين فى القرآن الكريم.

وفيه ستة مباحث:

١- المبحث الأول: تعريف المجمل والمبين.

٢- المبحث الثانى: أسباب الإجمال.

٣- المبحث الثالث: أقسام المجمل والمبين.

٤- المبحث الرابع: حكم المجمل.

٥- المبحث الخامس: طرق التبيين.

٦- المبحث السادس: بعض الآيات المختلف فيها هل هى من قبيل المجمل أو لا.

الخاتمة وفيها بيان بأهم النتائج.

وفى الختام أدعو المولى عز وجل أن يوفقنى فى البيان والعرض والشرح لهذين الفصلين، وأن يرزقنى التقوى والإخلاص فى كل ما أقوم به، إنه على كل شىء قدير. قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّـــهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّـــهُ وَاللَّـــهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[1].

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

الفصل الأول
جدل القرآن الكريم

مدخـــل:

القرآن الكريم كتاب الله عز وجل إلى خلقه، أنزله على رسوله سيدنا محمد ﷺ، دعاهم عز وجل فيه إلى الإيمان به عز وجل، وهى دعوة إلى الناس كافة، دعاهم إلى الحق واتباعه، واختلف الناس فى سماعهم لهذا الحق والإيمان به، فهناك من تقبله وانقاد له واتبعه، ولكن هناك نفوس ران على قلبها الجهل والظلمة فلا يهتز قلبها لهذا الحق بسهولة وتسليم، فخاطبها المولى عز وجل بما يزيل هذه الظلمة، وهذا الجهل، فتنوع الخطاب القرآنى بأكثر من أسلوب، من هذه الأساليب أسلوب الجدل الذى يقيم الحجة على المجادل، والاستدراج بالخصم حتى يعترف بما ينكره، وإذا فتح الله قلبه آمن وسلم بما دعاه إليه ربه عز وجل.

قال السيوطى[1] " قال العلماء إن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان، ودلالة، وتقسيم، وتحديد تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين: **أحدهما:** بسبب ما قاله عز وجل ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ [2]، **والثانى:** أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض، الذى لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزاً، فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجلَّ صورة ليفهم العامة من جليهم ما يقنعهم وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفى على ما أدركه فهم الخطباء "، ولذلك إذا ذكر تعالى حجة على ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرة بإضافته إلى أولى العقل، ومرة إلى السامعين، ومرة إلى المفكرين، ومرة إلى المتذكرين، تنبيهاً أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها،

---

(١) الإتقان جـ٢صـ١٧٢.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٤.

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[1][2] وقد ذكر المولى عز وجل أن الجدل من طبيعة الإنسان قال تعالى: ﴿**وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾[3].

المبحث الأول

تعريف الجدل

عرف العلماء الجدل بتعريفات كثيرة أذكر منها:

١- الجدل: اللَّدَدُ فى الخصومة، والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالاً. ورجل جَدِلُ ومجدَلُ ومجدَالُ: شديد الجدل. ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً أى غلبته. ورجلُ جَدل إذا كان أقوى فى الخصومة. وجادله أى خاصمه مجادلة وجدالاً.

والاسمُ الجدلُ وهو شدة الخصومة، وفى الحديث " ما أوتى الجدل قوم إلا ضلوا)[4]. والمراد به فى الحديث: الجدل على الباطل، وطلب المغالبة به لا إظهار الحق، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والجدل: مقابلة الحُجة بالحُجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة والمراد به فى الحديث: الجدل على الباطل، وطلب المغالبة به إظهار الحق)[5].

٢- الجدَل من الجَدْل بسكون الدال وهو الشد والإحكام يقال جدلتُ الحبل أجدِله جدلاً كتصريف فتلتهُ أفتِله فتلاً إذا فتلته فتلاً شديداً محكما، ومنه جارية مجدولة الخلق أى محكمة البنية، والأجدل الصقر لاشتداد خلقته وقوته فى نفسه، وفى الجدل معنى الشد والإحكام، لأن كلاّ من الخصمين يشتد على خصمه ويضايقه بالحجة التى اجتهد فى إحكامها، ويمكن اشتقاقه من الجدالة بفتح الجيم، وهى الأرض، كأنّ كلّ واحد من المتجادلين يقصد غلبة صاحبه وصرعه فى مقام النطق كما يجدّل الفارس قِرنه أى يرميه بالجدالة، يقال: طعنه فجدّله وانجدل هو إذا سقط. ويمكن اشتقاقه من الجَدال بفتح الجيم من غير

---

(١) سورة الرعد الآية ٤.

(٢) البرهان للزركشى جـ٢صـ٢٥.

(٣) سورة الكهف الآية ٥٤.

(٤) الترمذى كتاب التفسير باب سورة الزخرف جـ٥صـ٣٧٨،وقال حسن صحيح رقم ٣٢٥٣.

(٥) لسان العرب جـ١صـ٥٧١ مادة جدل، والصحاح صـ١٦٥٣.

هاء، وهو البلح إذا اخضر واستدار قبل اشتداده كأن كلّ واحد من المتجادلين يقصد الاستعلاء والارتفاع على صاحبه فى الحجة حتى يكون منه كموضع الجدال وهو البلح من النخلة. ويمكن اشتقاقه من المجدَل وهو القصر وجمعه مجادل لأن كلّ واحد من المتجادلين يتحصن من صاحبه بالحجة تحصن صاحب القصر بـــه. ويمكن اشتقاقه من المِجْدَل وهـــو النهر الصغير لتفتّل الماء فيـــه، فكأن كـــلّ واحد منهما يقصد فتل صاحبه عن رايه فتل الماء فـــى النهر. ويمكن اشتقاقه مـــن الأجدل وهـــو الصقر، كأن كـــل واحـــد منهما يسطو بالحجة على صاحبه سطوة الأجدل على الطير ويشتدّ عليه اشتداده عليها، وكأن مادة (ج د ل) ترجع فى جميع تصاريفها إلى معنى القوة والإمتناع والشدّ والإحكام فيكون الجـدل مشتقاً من هذا المعنى الكلّى، ومن كـل واحد من جزيئاته باعتبار ما يشتركان فيه من ذلك المعنى)[١].

٣- قـــال الإمام النووى: " الجدل والجدال والمجادلة: مقابلة الحجة بالحجة وتكون بحق وباطل وأصله الخصومة الشديدة)[٢].

٤- ذكـــر ابن خلدون: إنه معرفة بالقواعد مـــن الحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها إلى حفظ رأى أو هدمه، كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره)[٣].

وقريب من معنى كلمة الجدل[٤] كلمة الحجة، وتعريف الحجة: "الدليل والبرهان يقال حاججته فأنا محاجٌّ وحجيجُ، وقيل: الحجة ما دُوفعَ به الخصم، وقال الأزهرى: الحجة الوجه الذى يكون به الظفر عند الخصومة. والتحاج: التخاصم وجمع الحجة: حُجَجُ وحِجاج. وحاجة محاجةً وحجاجاً: نازعه الحجة. واحتج بالشىء: اتخذه حُجه. وفى حديث الدجال: "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه)[٥] أى مُحاجُهُ ومغالبـــةُ بإظهار الحجة عليه)[٦]. وقيـــل:

(١) الجذل فى علم الجدل للطوفى صـــ٣.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات جـــ٣صـــ٤٨.

(٣) مقدمة ابن خلدون صـــ٣٦٢.

(٤) لسان العرب جـــ١صـــ٥٧١ مادة ج د ل، والصحاح صـــ١٦٥٣.

(٥) مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه جـــ٤صـــ٢٢٥٠ رقم ٢١٣٧.

(٦) لسان العرب جـــ٢صـــ٧٧٩ مادة حجج.

الحجة: هى عبارة عن دليل الدعوى، وقد تطلق على الشبهه أيضاً لأنها مستند المخالفة. قال تعالى: ﴿**حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾[١] وقوله تعالى: ﴿**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾[٢] أى الدليل القاطع الذى لا يعارضه معارض وذلك قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ**﴾[٣]، وجاء فى القرآن الكريم إخباراً عن إبليس ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي**﴾[٤] أى حجة، وإنما غرهم بالشبهة، فالحجة حقيقة فى الدليل مجاز فى الشبهة)[٥]. وقريب من معنى كلمة الجدل أيضًا كلمة المناظرة، وتعريف المناظرة لغة: مشتقة من النظر، ومن الإنتظار، ومن النظر بالبصيرة ومن النظير)[٦]، وقال الشيخ ابن تيمية: النظر تجريد العقل عن الغفلات، وقيل: هو تحديق العقل نحو المرئى، والأول: هو النظر الطلبى، وهو طلب ما يدله على الحق، والثانى: هو النظر الاستدلالى، وهو النظر فى الدليل الذى يوصله إلى الحق)[٧]، وقيل: تكون المناظرة مع الغير وذلك بالتوجه بينهما إظهارًا للصواب)[٨].

وقال العلامة صديق حسن خان: " تأتى المناظرة بمعنى المجادلة المحمودة وهو استخراج الصواب، ولا يبعد أن يقال إن علم الجدل هو علم المناظرة لأن المآل منهما واحد)[٩].

ورود لفظة الجدل، والحجة، والسلطان فى القرآن الكريم:

ذكر المولى عز وجل لفظة الجدل وما تصرف منها فى كتابه العزيز فى تسعة وعشرين موضعاً، ولفظة الحجة وما تصرف منها فى سبعة وعشرين موضعاً، ولفظة السلطان أيضاً فى ثلاثة وثلاثين موضعاً، الجميع المراد به الحجة سوى موضع واحدٍ فى

---

(١) سورة الشورى الآية ١٦.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٩.

(٣) سورة الأنعام الآية ٨٣.

(٤) سورة إبراهيم الآية ٢٢.

(٥) استخراج الجدال من القرآن الكريم جـ١صـ٦٢.

(٦) التعريفات صـ٢٩٨، البحر المحيط جـ١صـ٤٢.

(٧) النبوات جـ٢صـ٦٥٧.

(٨) مفتاح دار السعادة جـ١صـ٢٨٠،والتعريفات صـ٢٩٨.

(٩) أبجد العلوم جـ٢ صـ٢٠٨.

قوله تعالى فـــى ســـورة الحاقـــة ﴿**هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَـــهْ**﴾[1] قيـــل المـــراد به الحجة.

أول من سن الجدال:

إن أول مـــن سن الجـــدال الملائـــكة صلوات الله عليهم حيث قالوا: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[2] وهذا منهم استدلال بالترجيح والأولوية، أى: من سبح وقدس لك هو أولى بالإيجاد والجعل فيها ممن يفسد فيها ويسفك الدمـــاء، وكـــان جواب الله لهم الترجيح أيضاً مـــن جهة أخرى ولهـــذا لم يرد عليهم قولهم، إذ قـــد علم سبحانه أن الذى ظنوه منهم ووصفوهم به كائن، بل عدل الله سبحانه إلى أمر مجمل فقال تعالى: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ من ترتيب خلقى وتدبير صنعى المحوط بالحكمة الدال على القدرة. وإبليس أول مـــن أظهر الخلاف وركـــب العناد، والفرق بينه وبيـــن الملائكة: أن الملائكة لم يظهر منهم خلاف ولا عصيان بل طلبوا بسؤالهم الإيضاح والبيان، واسترشادًا وطلبًا للمعرفة، والكشف عن الحكمة، وإبليس أفتى، ودل فى مسألته فانقطع فـــى مجادلتـــه وخسر فى مجادلته، وظهر فســـاد تعليـــله، وإزاغته عـــن الصواب فى تأويله أنه قال: ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَـــارٍ وَخَلَقْتَـــهُ مِـــنْ طِيـــنٍ**﴾[3] وبيـــان فساد تأويله وتعليله أورد القرطبى " قـــال تعالى حكاية عـــن إبليس ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنهُ**﴾ أى ما منعنى مـــن السجود فضلى عليه، فهذا من إبليس جواب على المعنى كما تقول: لمن هـــذه الدار ؟ فيقول المخاطب: مالكها زيد، فليس هـــذا عيـــن الجواب، بل هو كلام يراجع إلى معنى الجـــواب: ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ فرأى أن النار أشرف من الطين لعلوها وصعودها وخفتها، ولأنها جوهـــر مضىء، قـــال ابـــن عباس رضى الله عنهما والحسن وابن سرين: أول من قاس، إبليس فأخطأ القياس، كانت الطاعة أولى بإبليس من القياس فعصى ربه)[4].

وذكـــــر الفخـــر الرازى " أن إبليس لمـــا ذكـــــر هـــذا القيـــاس قـــال تعـــالى:

---

(١) سورة الحاقة الآية ٢٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٢.

(٤) تفسير القرطبى جـ٧صـ١٧١.

﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا**﴾[1] فوصف تعالى إبليس بكونه متكبراً بعد أن حكى عنه ذلك القياس الذى يوجب تخصيص النص ودلت هذه الآية على أن المتكبر على الله يوجب العقاب الشديد)[2].

المبحث الثانى

أنواع الجدال

ينقسم الجدال إلى محمود ومذموم.

١- الجدال المحمود

والجدال المحمود يكون ممدوحًا شرعًا إذا قصد به تأييد الحق أو إبطال الباطل أو أفضى إلى ذلك بطريق صحيح ومن أمثلته ما جاء فى سورة النحل قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[3] وما جاء فى سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[4]، وما جاء فى سورة المجادلة قال تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**﴾[5]. فأما قوله سبحانه ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ فيحتمل أن يكون المراد بالأحسن الأظهر من الأدلة، ويحتمل: التعجيز عن الإتيان بمثل القرآن، لأنه أحسن الأدلة نظاماً وبياناً وأكملها حسناً، وإحساناً، وأرجحها من الثواب ميزاناً، وأوضحها على إختلاف مدلولاتها كشفاً وبرهاناً. ويحتمل الإصغاء إلى شبههم والرفق بهم فى حلها ودحضها. ويحتمل بترك الغلظة عليهم فى حال جدالهم لتكون الحجة عليهم أظهر والجحد منهم أنكد وهى سنة الأنبياء عليهم السلام مع الأمم عند الدعوة)[6]، وقوله تعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[7].قال العز بن عبد السلام: إحسان الجدل إحسان إلى المجادل بإرشاده إلى الحق،

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٣.

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ١٤صـ٢٠٩.

(٣) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٦.

(٥) سورة المجادلة الآية ١.

(٦) استخراج الجدال من القرآن الكريم جـ١صـ٤٩- ٥٣ بتصرف.

(٧) سورة العنكبوت الآية ٤٦.

وإبطال شبهه، وشرفه بشرف المجادل منه فالمجادلة لإظهار الإيمان أفضل المجالات)[١].

وقال الشيخ ابن تيمية: "أمر الله المؤمنين أن يقولوا الحق الذى أوجبه الله عليهم، وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله، وتقوم به الحجة على المخالفين فإن هذا من الجدال بالتى هى أحسن، وهو أن يقول كلامًا حقًا يلزمك، ويلزم المنازع على أن يقوله فإن وافقك وإلا ظهر عناده وظلمه)[٢].

٢ ــ الجدال المذموم

الجدال المذموم: "هو الجدال بالباطل، أو أن يراد به ويقصد منه التعالي والمغالبة على الخصم بقلب الباطل حقًا والحق باطلاً، أو ما كان فيه نصرة للباطل.

وقيل: هو ما كان عن جهل وسوء أدب، وهو غير الذي أمر به المولى عز وجل في كتابه الكريم)[٣].

وفي هذا المبحث أتحدث عن بعض أنواع الجدال المذموم مستدلة فيه بما ورد في كتاب الله عز وجل وسنة نبينا سيدنا محمد ﷺ.

١- الجدال بغير علم:

ذم المولى عز وجل المجادل بغير علم في أكثر من آية في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّــهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّــهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[٤]. قال ابن القيم رحمه الله فى تفسير الآية الكريمة: " رتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بالفواحش ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريمًا منها وهو الشرك به سبحانه، ثم ربَّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه)[٥]. وقال تعالى مبكتًا أهل الكتاب جدالهم بغير علم: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ**

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال صـــ٣١٢.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـــ٢صـــ٤٧٠.

(٣) الجذل في الجدل للطوفي صـــ ٤٨،وأصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة صـــ ٨٩- ٩٠ بتصرف.

(٤) سورة الأعراف الآية ٣٣.

(٥) إعلام الموقعين جـــ١صـــ ٣٨.

تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّـهِ بِغَيْـرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُـرَ مَقْتًا عِنْـدَ اللَّـهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾**[2]. فالنهي في الآيتين عن الجدال لمن لا علم لـه وليس لديـه برهـان ودليـل على ما يقـول، وقـال تعـالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّـهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ* ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّـهِ**﴾[3] في الآيتين ذم لكل مجادل بغير علم وأضاف عز وجل إلى عدم العلم عدم الهدي ولا كتاب منير يهديه إلى الصواب وإلى إتباع الحق والاهتداء بنوره.

٢- الجدال فيما طُوي علمه واستأثر الله عز وجل بعلمه:

إن الله عز وجل أعلم خلقه أشياء كثيرة وأخفى عنهم أشياء أكثر من المغيبات، والغيبيات لا يصح الجدل فيها ومحاولة معرفتها، والتوقف عندما ورد فيها من الشرع وبينه، أما الجدل فيها والتكلف في معرفتها والكلام فيها بغير برهان فهذا من الجدل المحرم والممنوع شرعًا، فضلاً عما قد يجلبه ذلك الجدل العقيم من التشكك والحيرة وتضيع الوقت فيما لا فائدة فيه.

ولقد نبه وحذر الرسول عليه الصلاة والسلام من الخوض في هذه المسائل لأنها باب من أبواب الشيطان.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته "[4]. وفى هذا تحذير من النبي ﷺ من وسوسة إبليس للمسلم وخاصة أهل الصلاح والتقوى فهو يعلم أنه لو أمرهم بمعصية لن يستجيبوا له، فيدخل عليهم من هذا الباب وهو التفكر والسؤال فيما أخفاه المولى عز وجل عن عباده ليفسد عليهم إيمانهم ويشغلهم بما ليس منه طائل ولا فائدة.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٦.

(٢) سورة غافر الآية ٣٥.

(٣) سورة الحج الآيتان ٨،٩.

(٤) البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده رقم ٣٢٧٦ جـ٤صـ١٢٣، ومسلم كتاب الإيمان باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها رقم ١٣٤ جـ١صـ ١٢٠.

قال ابن شبرمة: " في المسائل ما لا يحل لأحد أن يسأل عنها، وفيها ما لا يحل لأحد أن يبحث عنها "[(١)]. وضرب لنا النبي ﷺ القدوة والمثل الأعلى في عدم الإجابة فيما نسئل فيه ويكون فيما غيب عنا علمه أن نرجع العلم فيه إلى الله تعالى، وألا نتكلف الجواب فقد سئل النبي ﷺ من اليهود عن الروح، فأحال العلم إلى الله عز وجل ولم يتكلف الجواب. روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن اليهود قالوا: سلوه، فسألوه عن الروح فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئًا. فلما نزل الوحي قال: " ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً "[(٢)]. ولخطورة هذا النوع من الجدال الممنوع حذر العلماء من الخوض فيه، قال أبو عبد الله بن بطة رحمه الله محذرًا الناس من الخوض في هذا المسلك ووصفهم بأنهم " قوم حيارى تاهت عقولهم عن طرقات الهدي، تركوا ما قدمه الله عز وجل في وحيه وافتراضه على خلقه، وتعبدهم بطلبه وأمرهم بالنظر والعمل به، وأقبلوا على ما لم يجدوه في كتاب ناطق ولا تقدمهم فيه سلف سابق، فشغلوا به وفرغوا له آراءهم وجعلوه دينًا يدعون إليه ويعادون من خالفهم عليه، فكل ما لم ينزل الوحي بذكره ولم تأت السنة بشرحه من مكنون علم الله ومخزون غيبه وخفي أقداره فليس للعباد أن يتكلفوا من علمه ما لا يعلمون، ولا يتحملوا من نقله ما لا يطيقونه، فإنه لن يعدوا رجل كلف ذلك نظره وقلب فيه فكره أن يكون كالناظرين في عين الشمس ليعرف قدرها، أو كالمرتمي في ظلمات البحور ليدرك قعرها، فليس يزداد على المضي في ذلك إلا بُعدًا، ولا على دوام النظر في ذلك إلا تحيرًا، فليقبل المؤمن العاقل ما يعود عليه نفعه، ويترك إشغال نظره وإعمال فكره في محاولة الإحاطة بما لم يكلفه)[(٣)].

٣- جدال التدارؤ بالنصوص القرآنية والسُنة النبوية الشريفة:

حرم الشرع التدارؤ بالنصوص القرآنية. ومعنى درأ لغة: الدرء: الدفع. درأه يدروه يدروه دروًا ودرأة: دَفَعَهُ. وتدارأ القوم: تدافعوا فى الخصومة ونحوها واختلفوا وكلُ من دفعته عنك فقد درأته وتقول: تدارأتم أى اختلفتم وتدافعتم وأصله: تداراتم، فأدغمت التاء فى الدال واجتلبت الألف ليصح الابتداء بها، وقال بعض الحكماء: لا تتعلموا العلم لثلاث، ولا

(١) إبطال الحيل لابن بطة صـ ٦٢.

(٢) البخاري كتاب التفسير تفسير باب ﴿يسألونك عن الروح﴾ رقم ٤٧٢ جـ٨صـ ٤٠١.

(٣) الإبانة جـ١صـ ٤٢٠- ٤٢١ بتصرف.

تتركوه لثلاث: لا تتعلموه للتدارى، ولا للتمارى، ولا للتباهى، ولا تدعوه رغبة عنه، ولا رضا بالجهل، ولا استحياء من الفعل له)[١]. ومعنى التدارؤ بالقرآن: " أن يستدل واحد بآية فيرده آخر بآية أخرى طلبًا لإثبات مذهب نفسه وهدم وضع صاحبه، أو ذهابًا إلى نصرة مذهب بعض الأئمة على مذهب بعض، ولا يكون جامع الهمة على ظهور الصواب والتدارؤ بالسنة مثـــل ذلك "[٢]. قال تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِـــنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّـــهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[٤]. وقد حذر النبي ﷺ من هذا النوع من الجدال المذموم. فقد وقع في عهد النبي ﷺ رد لبعض النصوص وضرب كتاب الله بعضه ببعض مع حُسن قصدهم وتحريهم للحق فزجرهم النبي ﷺ عن ذلك.يروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن نفرًا كانوا جلوسًا بباب النبي ﷺ فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا، فسمعهم رسول الله ﷺ فخرج فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال: بهذا أمرتم أو بهذا بعثتم أن تضربوا القرآن بعضه ببعض، إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا فانظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، وانظروا الذي نهيتم عنه فانتهوا عنه)[٥] ويحرم هذا الجدال لأنه يورث الشبه والحيرة والأهواء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المراء في القرآن كفر"[٦]. جاء في معنى الحديث الشريف: " اختلفوا في تأويله، فقيل معنى المراء: الشك، كقوله تعالى: ﴿**فلا تك في مرية منه**﴾ أي في شك. وقيل: المراء هو الجدل المشكك، وذلك أنه إذا جادلك فيه أداه إلى أن يرتاب في الآية المتشابهة منه، فيؤديه ذلك إلى

---

(١) لسان العرب جـ٢صـ١٣٤٧ مادة درأ.

(٢) الحجة البالغة/ولي الله الدهلوي جـ١صـ ٣٨٩.

(٣) سورة النساء الآية ٨٢.

(٤) سورة فصلت الآية ٤٢.

(٥) أسنده البغوي في شرح السنة جـ١صـ٢٦٠ رقم ١٢١ من طريق عبد الرزاق ثنا معمـــر عـــن الزهـــري عـــن عمـــرو بـــن شعيب عـــن أبيـــه عـــن جـــده بـــه، قـــال البوصيري فـــي مصباح الزجاجـــة جـــ١صـــ ٥٣: هـــذا إسناد صحيـح رجاله ثقات.

(٦) مسند الإمام أحمد جـ٢صـ ٢٦٨ وأبو داود في كتاب السنة. باب النهي عن الجدال في القرآن جـ٥صـ ٩ رقم ٤٦٠٣ والحاكم فى المستدرك كتاب التفسير جـ٢صـ ٢٢٣. وقال الألبانى: الحديث حسن صحيح وإسناده صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الجحود، فسماه كفرًا باسم ما يخشى من عاقبته إلا من عصمه الله)[١].

٤- الجدال في متشابه القرآن الكريم:

حذر النبي ﷺ أمته من الذين يجادلون بمتشابه القرآن لم فيه من الفتنة الكبيرة بين الناس، يروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ يومًا هذه الآية: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ..**﴾[٢] إلى آخر الآية فقال رسول الله ﷺ: " فإذا رأيت الذين يجادلون فيه أو به، فهم الذين عني الله تعالى ما حذروهم"[٣]. وقال عمر رضي الله عنه: سيكون أقوام يجادلونكم بمتشابه القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم كتاب الله تعالى "[٤]. وقال ابن بطة رحمه الله: " قد بقي المراء الذي يحذره المؤمنون، ويتوقاه العاقلون وهو المراء الذي بين أصحاب الأهواء وأهل المذاهب والبدع، وهم الذين يخوضون في آيات الله ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، والذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، وهؤلاء الذين يخوضون في آيات الله يتأولونه بأهوائهم ويفسرونه بأهوائهم، ويحملونه على ما تحمله عقولهم فيضلون بذلك، ويضلون من اتبعهم عليهم"[٥]، وقال الإمام أبو حامد الغزالي في شأن هؤلاء: "أهل الجدل والشغب يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة، وهم طائفة فيهم كياسة توقوا بها عن العوام، ولكن كياستهم ناقصة، أو كانت في الفطرة كاملة لكن في باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد، فذلك يمنعهم عن إدراك الحق، وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن يفقهوا)[٦].

٥- جدال الانتصار للمذاهب:

بعد وفاة النبي ﷺ وما جد في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه من وقوع الفتنة الكبيرة والتي انتهت بمقتله رضي الله عنه وظهور طائفة الخوارج وهم الذين لم

---

(١) شرح السنة للبغوي جـ١صـ ٢٦١.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧.

(٣) البخاري كتاب التفسير باب ﴿منه آيات محكمات﴾ جـ١صـ٢٠٩ رقم ٤٥٤٧، ومسلم كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن جـ٤صـ٢٠٥٣ رقم ٢٦٦٥.

(٤) الشريعة للآجري جـ١صـ ٢٠٩، ذم الكلام للهروي جـ١صـ ١٨٣، جامع البيان للطبري جـ٣صـ ١٢٠.

(٥) الآداب الشرعية جـ١صـ ٢٠٩.

(٦) القسطاس المستقيم صـ ٩٠.

يرتضوا التحكيم بين سيدنا علي رضي الله عنه وبين معاوية،وأصبحت الأمة الإسلامية في فرقة واختلاف ودب إليها داء الأمم قبلها ونتج عن هذه الفتنة الطاحنة فرق كثيرة منها الشيعة وهم الذين ينتصرون لسيدنا علي وعثمانية ينتصرون لسيدنا عثمان وخوارج يعادون الشيعة ومروانية ينتصرون لمعاوية وبني أمية وقد استباح بعض هؤلاء لأنفسهم أن يؤيدوا أهواءهم ومذاهبهم بما يقويها وذلك بتفسيرها وشرحها بما ينتصر لمذهبهم ومن هنا بدأ ظهور الجدال بقصد الانتصار للفرقة المنتمي إليها المجادل أو للمذهب المنتمي إليه المجادل وهذا الجدل مستمر إلى يومنا هذا، فكل منتمٍ لمذهب يريد أن ينتصر له بما يؤيده فيجادل بما فيه الحق وبما ليس بحق وهذا هو النوع المذموم من الجدل. وهذا الجدل بين أصحاب المذاهب المختلفة الذي يقع فيه التعصب ويوقع العداوة والبغضاء هو المنهي عنه وهو الذي حذر منه النبي ﷺ ومن بعده صحابته رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن أبي العز الحنفي: " ولا يزال التعصب للمذاهب يملأ القلوب بالشحناء يشحنها، وقد نهي الله تعالى عن المجادلة لأهل الخلاف فكيف بأهل الوفاق ؟ إلا أن يقال أحسنها، وما علمنا أن في ذلك نية تتخذ، ولا مصلحة توجد، ولا هداية تعتقد بدراسة تفقد، بل نار عداوة توقد، وقلما أثمرت المشاجرة)[١].

وفي هذا الباب يحذر الحافظ ابن رجب الحنبلي من هذا النوع من الجدال يقول: " ومما أنكره السلف الجدال المذموم والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضًا، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام)[٢].

٦- جدال الأغلوطات:

أولاً نعرف بمعنى الأغلوطات المَغْلَطَةُ والأُغْلُوطَةُ: ما يُغالط به من المسائل، والجمع الأغاليط وفى الحديث أنه ﷺ "نهى عن الأُغْلُوطات)[٣] نهى عنها لأنها غير نافعة فى الدين، ولا تكاد تكون إلا فيما يقع، ومثله قول ابن مسعود رضى الله عنه أنذرتكم صعاب المنطق، يريد المسائل الدقيقة الغامضة، فأما الأُغْلُوطات فهى جمع أُغلوطة، أفعولة من الغلط

(١) الاتباع صـ ٨٩.

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف صـ ٣٢/٣١.

(٣) سنن أبى داود كتاب العلم باب التوقى فى الفتيا جـ٣صـ٣٢١ رقم ٣٦٥٦.

كالاحدوثة والأعجوبة)[١]: وهي: التوسع في المسائل والخوض فيما لا يُحتاج إليه، وتوجيه الإشكالات على الأدلة ثم الاشتغال بحلها، والتدقيق بعد ذلك في وضع المقاييس العقلية. والتوسع في توليد ما لم يقع من المسائل والاشتغال بتكلف الجواب. وقد حذر النبي ﷺ من كثرة المسائل والقيل والقال وحذر علماء الأمة العلماء من الوقوع في هذا الجدل المذموم. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "ذروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)[٢]. وقال الحافظ ابن حجر: "ومن توسع في تفريع المسائل وتوليدها ولاسيما فيما يقل وقوعه ويندر، ولاسيما إن كان الحامل على ذلك المباهاة والمغالبة، فإنه يذم فعله وهو عين الذي كرهه السلف، ومن أمعن في البحث عن معاني كتاب الله، محافظًا على ما جاء في تفسيره عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه الذين شاهدوا التنزيل وحصل من الأحكام ما يستفاد من منطوقه ومفهومه، وعن معاني السنة وما دلت عليه كذلك مقتصرًا على ما يصلح للحجة منها فإنه الذي يحمد وينتفع به، وعلى ذلك يحمل عمل فقهاء الأمصار من التابعين فمن بعدهم حتى حدثت الطائفة الثانية فعارضتها الطائفة الأولى فكثر بينهم المراء والجدال وتولدت البغضاء وتسموا خصومًا وهم أهل دين واحد)[٣]. وقال ابن قتيبة رحمه الله: " وكان المتناظرون في الفقه يتناظرون في الجليل من الواقع والمستعمل من الواضح، وفيما ينوب الناس فينفع الله به القائل والسامع، فقد صار أكثر التناظر فيما دق وخفي وفيما لا يقع وفيما قد انقرض)[٤] أما التفقه في الدين والسؤال لزيادة المعرفة وبقصد العمل فإنه يحمد أما إذا كان للمراء والجدال فهو مذموم.

٧- جدال اللدد وسوء الأدب:

اللَّدود: شدة الخصومة، (لد) اللام والدال أصلان صحيحان: أحدهما يدل على خصام، والآخر يدل على ناحية وجانب، يقال رجل ألد وقوم لد على خصام قال تعالى: ﴿**وَتُنذِرَ بِهِ**

(١) لسان العرب جـ٥صـ٣٢٨٢ مادة غلط.

(٢) البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ جـ١٣ صـ٢٥١ رقم ٧٢٨٨.

(٣) فتح الباري جـ١٣ صـ ٢٦٧.

(٤) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهيمة صـ ١٨، ١٩.

قَوْمًا لُدًّا﴾ [(١)]. هناك البعض من الناس إذا جادل غيره حصل منه ظلم وتعدٍّ وسوء أدب وناظر طلبًا للذكر، ولإظهار ذكائه وعلمه وبيانه، يناظر بكبر ومخيلة، يناظر بقصد العلو والقهر لمخالفه، وهذه المناظرة مذمومة شرعًا وحذر منها رسول الله ﷺ.عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: " إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"[(٢)]. وقال الحافظ ابن رجب مبيناً عاقبة من يسلك هذا الطريق: " وإن أنت أبينت النصيحة وسلكت طريق الجدال والخطام وارتكبت ما نهيت عنه من التشدق إلا عجبًا، ولا لطلب العلو في الأرض إلا حبا، ومن الحق إلا بعدًا أو عن الباطل إلا قربًا، وحينئذ فتقول: ولم لا أقل وأنا أولى من غيري بالقول والاختيار، ومن أعلم مني ومن أفقه مني، هذا يقوله من هذه الأئمة من هو وقود النار)[(٣)].

٨- الجدال بعد ظهور الحق ونصرة الباطل:

ذم الشرع المجادلة في الحق بعد ظهوره ظهورًا واضحًا بقصد المشاغبة والمعاندة قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[(٤)].

قال القرطبي في تفسير الآية الكريمة " في هذه الآية أدب حسن علمه الله عباده في الرد على من جادل تعنتًا ومراءًا ألا يجاب ولا يناظر، ويُدفع بهذا القول الذي علمه الله لنبيه ﷺ[(٥)] والمولى عز وجل ذم فيمن يحاج بعد ظهور الحق وهذا مذموم من كل ذي عقل. ولا يفعل ذلك إلا كل معاند مكابر.

قال الشيخ ابن تيمية[(٦)]: " وقد ذم في القرآن ثلاثة أنواع من المجادلة: ذم صاحب المجادلة بالباطل ليدحض به الحق، وذم المجادلة في الحق بعد ما تبين، وذم المحاجة فيما لا يعلم المحاج، فقال تعالى: ﴿**وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾[(٧)]، وقال تعالى:

---

(١) سورة مريم الآية ٩٧.

(٢) البخاري كتاب التفسير بـــاب (وهـــو ألد الخصام) جـــ٨صـــ١٨٨ رقم ٤٥٢٣.

(٣) الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة صـــ ٥٣.

(٤) سورة الزخرف الآية ٥٨

(٥) الجامع لأحكام القرآن جـــ١٢صـــ ٩٤.

(٦) درء تعارض العقل والنقل جـــ٧صـــ ١٧٠.

(٧) سورة غافر الآية ٥.

﴿**يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**﴾[٢].

والمقصود أن الحق إذا ظهر وعرف، وكان مقصود الداعي إلى البدعة إضرار الناس قوبل بالعقوبة، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾[٣].

وحذر النبي ﷺ المعرض عن الحق بعد ظهوره ومن ينصر الباطل على الحق بالعقاب الشديد، عن أبي أمامة[٤] رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[٥]. المعنى: أن من ترك سبيل الهدى واتبع سبيل الضلال وهو يعلم ذلك ويعلم أنه ترك الحق وسلك طريقًا غيره إلا اتبع في طريقه الجدل وقال ﷺ: " من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله، ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع)[٦].

وذكر الإمام السيوطى فصلاً مهماً فى الأنواع المصطلح عليها فى علم الجدل منها:

١- **السبر والتقسيم:** ومن أمثلته فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ**﴾[٧].

٢- **القول بالموجب:** قال ابن أبى الأصبع: وحقيقته رد كلام الخصم من فحوى كلامه.وقال غيره: هو قسمان: أحدهما: أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فثبتها لغير ذلك الشيء ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ**﴾[٨]. والثانى: حمل لفظ وقع من كلام الغير على

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦.

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٦.

(٣) سورة الشورى الآية ١٦.

(٤) الترمذي كتاب التفسير باب سورة الزخرف جـ٥صـ ٣٧٨، وقال حسن صحيح رقم ٣٢٥٣.

(٥) سورة الزخرف الآية ٥٨.

(٦) أبو داود كتاب الأقضية باب في الشهادات حديث رقم ٣٥٩٧ جـ٤صـ٢٣، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية جـ١صـ ٣٠ إسناده صحيح.

(٧) سورة الأنعام الآية ١٤٣.

(٨) سورة المنافقون الآية ٨.

خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ومثل له الإمام السيوطى بالآية الكريمة وهـى قولـه تعالى: ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ**﴾ (١).

٣- التسليم: وهو أن يفرض المحال إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ (٢).

٤- الإسجال: وهو الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به نحو قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ**﴾ (٣) ﴿**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ**﴾ (٤).

٥- الانتقال: وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذى كان آخذاً فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول كما جاء فى مناظرة الخليل (سيدنا إبراهيم عليه السلام) للجبار (النمروذ) لما قال له: ﴿**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾ (٥) فقال الجبار: ﴿**أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾ (٦). ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ومن لا يجب عليه فقتله.

٦- المناقضة: وهى تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه كقوله تعالى: ﴿**وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾ (٧).

٧- المجاراة: وهى مجاراة الخصم ليعثر بأن يسلم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته وإلزامه كقوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ (٨)(٩).

---

(١) سورة التوبة الآية ٦١.

(٢) سورة المؤمنون الآية ٩١.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٩٤.

(٤) سورة غافر الآية ٨.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٨.

(٦) سورة البقرة الآية ٢٥٨.

(٧) سورة الأعراف الآية ٤٠.

(٨) سورة إبراهيم الآيتان ١٠ ـــ ١١.

(٩) الإتقان جـ٢صـ١٧٢- ١٧٣ بتصرف.

المبحث الثالث

حكم الجدال شرعًا

تعددت أساليب القرآن الكريم في بيان الحق وإبطال الباطل وتنوعت أساليبه في مخاطبة المكلفين وإقامة الدلائل والبراهين على صدق رسالة رسوله سيدنا محمد ﷺ وعالمية رسالة الإسلام وإقامة الدلائل على أصول العقيدة والتوحيد والنبوة والمعاد وبيان مهمة الرسل مع أممهم للوصول إلى العقيدة الصحيحة والإيمان بربهم العلي القدير.

ومن هذه الأساليب ما نحن بصدده وهو الجدل والمناظرة وإقامة الحجج والبراهين لدحض شبهة كل مخالف لنداء العقل والشرع ومن التعريفات السابقة للجدل يتبين لنا أن الجدل ليس كله حلالاً ومشروعاً وكذلك ليس كله حراماً وممنوعاً شرعًا، ومن التقسيم السابق للجدل إلى نوع ممدوح وآخر مذموم ومن هنا يختلف الحكم على الجدل حسب نوعه فما كان منه مشروع وله من الأدلة الشرعية ما يبين شرعيته فهو حلال وما كان منه ممنوع ومحرم وله من الأدلة الشرعية الدالة على عدم مشروعيته فهو حرام، ولذلك أتحدث أولاً عن: الحكم الشرعي للجدل الممدوح. وحكمه حلال وهو مشروع بالأدلة القرآنية والحديثية معًا.

أولاً: الأدلة القرآنية على مشروعية الجدال:

١- قال تعالى: ﴿**وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾[(١)].

الدلالة من هذه الآية الكريمة على مشروعية المناظرة والمجادلة هو أن الكفار وأهل الباطل يأتون بالأقيسة العقلية، والحجج الجدلية فأعلم الله نبيه سيدنا محمد ﷺ أن المولى عز وجل مؤيده ومعلمه من الحجج والبراهين والأمثلة ما فيه دحض شبههم الفاسدة وما هو أحسن مما ضربوا له ﷺ من أمثلة.

قال الراغب الأصفهاني: " ما من برهان وتقسيم وتحديد ينبئ عن كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا والقرآن قد نطق به ولكن أورده الله تعالى على عادة العرب)[(٢)].

وقال ابن تيمية: " أخبر سبحانه أن الكفار لا يأتونه ﷺ بقياس عقلي لباطلهم إلا جاءه الله تعالى بالحق، وجاءه من البيان والدليل وضرب المثل بما هو أحسن تفسيرًا وكشفًا وإيضاحًا

---

(١) سورة الفرقان الآية ٣٣.

(٢) مقدمة تفسير الأصفهاني صـ ٧٥.

من قياسهم، والله تعالى قد أرسل نبيه محمدًا ﷺ إلى جميع العالمين، وضرب الأمثال فيما أرسله به لجميعهم، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[(١)].

وقال ابن القيم: " فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلاً صحيحًا على ذلك إلا وهو في القرآن بأفصح عبارة، وأوضح بيان، وأعم معنى وقد اعترف بهذا حذاق المتكلمين من المتقدمين والمتأخرين "[(٢)].

٢- قال تعالى: ﴿**إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا**﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿**أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ**﴾[(٤)].

والأدلة القرآنية كثيرة في دحض دعاوي المتشككين والمنكرين بعدم قياس السلطان على دعاويهم. قال ابن تيمية: " والسلطان هو الوحي المنزل من عند الله تعالى، وقال ابن عباس- رضي الله عنهما- كل سلطان في القرآن فهو الحجة "[(٥)].

٣- قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾[(٦)] فالآية الكريمة فيها من الثناء والمدح من الله عز وجل لكل من يؤتي الحجة. وفيها الحث على تحصيلها لدحض حجج المكذبين الفاسدة.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: " وهذه الحجة التي هي استنتاج النتائج الصحيحة من المقدمات الصحيحة المقتضية بطلان الحجج الكفرية، نوه الله بها على إبراهيم، وأشار إلى أن من آتاه الله ذلك النوع من الحجة أن يكون فيه رفع درجته، ويدخل في عموم الآية رفع درجة إبراهيم- عليه السلام- بما آتاه ربه من الحجة القاطعة على قومه "[(٧)].

٤- قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ**

---

(١) سورة الزمر الآية ٢٧.

(٢) مفتاح دار السعادة جـ١صـ ١٤٥.

(٣) سورة يونس الآية ٦٨.

(٤) سورة الروم الآية ٣٥.

(٥) نقض المنطق ص١٨٠.

(٦) سورة الأنعام الآية ٨٣.

(٧) آداب البحث والمناظرة جـ٢صـ ٩٨.

أَحْسَنُ﴾[١] الآية الكريمة فيها من الأمر من المولى عز وجل لنبيه ﷺ بالمجادلة بالحسنى والتحلي بالحكمة والموعظة الحسنة مع من يجادلهم.قال أبو محمد ابن حزم: " فكان تعالى قد أوجب الجدال في هذه الآية، وعلم فيها تعالى جميع آداب الجدال كلها من الرفق والبيان، والتزام الحق، والرجوع إلى ما أوجبته الحجة القاطعة "[٢].

٥- قال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾**[٣].أمر المولى عز وجل نبيه ﷺ أن يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه: " والمراد بذلك تبليغه رسالات الله وإقامة الحجة عليه، وذلك قد لا يتم الواجب إلا بتفسيره له الذي تقوم به الحجة ويجاب به عن المعارضة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، علم بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ للأمر بالمجادلة مطلقًا "[٤].

٦- قوله تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾**[٥] الآية الكريمة فيها حث على الأمر بالمناظرة ودفع أهل الباطل عن باطلهم وذلك بإحقاق الحق ومساعدة أهل الحق على حقهم، قال ابن شاهين: " وهذا فيه معنى لأهل العلم أيضًا، لأن الحق لا يحقه إلا من عرفه، ولا يبطل الباطل إلا من عرفه، ولا يعرف الحق من الباطل إلا أهل العلم، فعون أهل الحق على حقهم، ودفع أهل الباطل عن باطلهم من أفضل الأعمال وهو عمل بالقرآن لأن الله يقول: (نقذف بالحق على الباطل فيدمغه)[٦].

٧- قال تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾**[٧]، وقال تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾**[٨].

وجه الدلالة في الآية الكريمة أن الآية الأولى فيها أمر للنبي ﷺ بمشورة أصحابه رضي الله عنهم في الأمور التي فيها اجتهاد لهم وإعمال لما يعرفونه من أمور الحياة الدنيا ولـيس فيها نص قاطع وهذا الأمر بالمشاورة هو أمر بالمجادلة والمحاورة والمنـاورة لاسـتخراج

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام جـ٢صـ ٢٠.

(٣) سورة التوبة الآية ٦.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جـ١صـ ٧٢.

(٥) سورة الأنبياء الآية ١٨.

(٦) السنة صـ ٩٧.

(٧) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٨) سورة الشورى الآية ٣٨.

أفضل صور الحق والصواب، فالمشاورة نوع من المناظرة وتعدد الأقوال والآراء ثم بعد ذلك يحصل الوصول إلى الرأي الصواب السديد.

بعد بيان بعض الأدلة القرآنية الدالة على مشروعية الجدال والمناظرة بالحق يتبين لنا أن الله عز وجل لم يُحرِّم مطلق الجدال والمناظرة وإنما حرم المناظرة بالباطل، ووجه رسله وعباده على الجدال بالحق والحكمة.

ثانيًا: الأدلة من السنة النبوية الشريفة على مشروعية الجدال:

أُرسل النبي ﷺ إلى قومه، وكان الناس في جاهلية عمياء، وفيها عصبية شديدة تمنعهم من قبول الحق والاهتداء به، وكان في جزيرة العرب أديان محرفة ومبدلة مثل اليهودية والنصرانية، وقد بُعث النبي ﷺ للناس كافة قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[1]، واقتضت سنة الله تعالى أن يُعارض النبيون لما بعثوا به، وأن يجادلهم قومهم بالباطل والحجج الفاسدة، والرسول ﷺ حصل له ما حصل لإخوانه من الرسل سلام الله عليهم أجمعين، فكذبه قومه وجادلوه وعارضوه بكل أنواع وصور المجادلة، ولكن المولى عز وجل أيده بالبرهان وإقامة الحجة عليهم، ودحض شبههم الباطلة، وأصَّل النبيﷺ قواعد وأصول الجدل والمناظرة على الوجه الذي لا يخرجها من المجادلة الممدوحة إلى المجادلة والمناظرة المذمومة، فكانت مجادلته ﷺ مع قومه ومع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والوفود القادمة إليه من جزيرة العرب على أكمل وجه، وذلك بفضل الله تعالى وتعليمه لرسوله ﷺ،وبما أوتي سيدنا محمد ﷺ من الحكمة والرحمة والصبر على الناس كافة، وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[2] فهو ﷺ رحيم بعباد الله عز وجل حتى في مجادلتهم ومناظرتهم. والأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في مشروعية الجدل كثيرة أذكر منها:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"[3].

---

(١) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٣) سنن أبى داود كتاب الجهاد باب كراهية ترك الغزو جـ٣صـ١٠ رقم ٢٥٠٤ والحديث صححه الألبانى، وقال الحافظ ابن عبد الهادي في المحرر في الحديث جـ٢صـ ٤٣٩ إسناده على شرط مسلم، وقال النووي في رياض الصالحين صـ ٢٨ إسناده حسن.

قال الخطيب البغدادي:" فأوجب المناظرة للمشركين كما أوجب النفقة والجهاد في سبيل الله "[١]. وقال العلامة بكر أبو زيد " فالرد على أهل الباطل ومجادلتهم ومناظرتهم حتى تنقطع شبهتهم ويزول عن المسلمين ضررهم، مرتبة عظيمة من منازلهم الجهاد باللسان، والقلم أحد اللسانين "[٢].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات"[٣]. فالكلمة الطيبة: كلمة الحق، وتعليم الناس حفظ حقوقهم، ودفع الظلم عنهم هو من المجادلة والمناظرة التي يرضاها الله عز وجل.

٣- عن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم "[٤].

الحديث الشريف يأمرنا بالنصيحة دفاعًا عن دين الله عز وجل وليس كل الناس يتقبل النصيحة بسهولة وتراضي، وخاصة أهل الباطل والبدع والضلالات، ومجادلة هؤلاء لرد أهوائهم ودفعهم لقبول الحق هو من النصح لله عز وجل ولكتابه ولرسوله.

قال الحافظ ابن رجب: "ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ وهو ما يختص به العلماء رد الأهواء المضلة بالكتاب والسنة على موردها وبيان دلالتها على ما يخالف الأهواء كلها وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها"[٥].

٤- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: إنك تأتي قومًا أهل كتاب"[٦] أي أنك تأتي قومًا لن يستمعوا لما تقول وسيجادلونك فيما تقول، فلابد من معرفة عقيدتهم وعارفًا لشبههم، حتى تستطيع أن ترد عليهم وتبطل حججهم

(١) الفقيه والمتفقه جـ١صـ ٢٣٣.

(٢) الرد على المخالف صـ٤٠.

(٣) البخاري كتاب الرقاق باب حفظ اللسان جـ١١ صـ٣٠٨ حديث رقم ٦٤٧٨.

(٤) مسلم كتاب الإيمان باب أن الدين النصيحة حديث ٩٥ جـ١صـ ٧٤.

(٥) جامع العلوم والحكم صـ ٨٥.

(٦) البخاري كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن رقم ٤٣٤١ جـ٨صـ ٦٠،ومسلم كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم ٢٩ جـ١ صـ ٥٠.

وتدعوهم إلى الحق الذي معك.

٥- وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفّض فيه ورفّع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال " ما شانكم " ؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال ﷺ: " غير الدجال أخوفنى عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فأمرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم "[١]. "فخفض فيه ورفع" فى معناه قولان أحدهما: أن خفض بمعنى حقر ورفع أى عظمه وفخمه ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنه به هذه الأمور الخارقة للعادة. والثانى: أنه خفض من صوته فى حال الكثرة فيما تكلم فيه فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد بلاغاً كاملاً مفخماً)[٢]. معنى حجيجه: " أي محاجه ومخاصمه وقاطعه بالحجة بإظهار كذبه وإفساد قوله "[٣].

٦- روي المسْوَر بن مَخرَمَة رضي الله عنه الحديث الشريف الوارد في صلح الحديبية وما كان من مناظرة النبي ﷺ للصحابة في أمر هذا الصلح، فقد صالح النبي ﷺ المشركين على أن لا يأتي أحد من المشركين إلى النبي ﷺ في مدة الصلح إلا رده إليهم، وعلى أن يعود إلى دياره ويحج العام المقبل فكره بعض المسلمين ذلك، ولم يتضح لهم المقصد من هذا الصلح، وعارض عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله ﷺ وقال له كما ورد في الحديث: " ألست نبي الله حقًا ؟ قال ﷺ: بلى قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال ﷺ: بلى قال: فلِم نُعط الدنية في ديننا إذًا ؟ قال ﷺ: " إني رسول الله ولست عاصيه، وهو ناصري "[٤].

قال الحافظ بن حجر في بيان ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع رسول

---

(١) مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه رقم ٢١٣٧ جـ٤صـ ٢١٣٧.

(٢) صحيح مسلم بشرح محمد فؤاد عبد الباقى جـ٤صـ٢٢٥٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم جـ٧صـ ٢٧٦.

(٤) البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط رقم ٢٧٣٢ جـ٥صـ ٣٢٩ من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه، مسلم في كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية رقم ١٧٨٥ جـ٣صـ ١٤١١ من حديث سهل بن حنيف.

الله ﷺ: " زاد الواقدي في الرواية، قال عمر: لقد دخلني أمر عظيم، وراجعت النبي ﷺ مراجعة ما راجعته مثلها قط" وفي رواية ابن اسحق: " كان الصحابة لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، أي في منامه، أنه يعتم ويدخل هو وأصحابه البيت (الحرام مكة) فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم " ويستفاد من هذا الفصل جواز الحوار في العلم حتى يظهر المعنى، وأن الكلام يحمل على عمومه وإطلاقه حتى تظهر إرادة التخصيص والتقييد، ويروي عن عمر أنه لم يراجع أحدًا في ذلك بعد رسول الله ﷺ غير أبي بكر الصديق، وذلك لجلالة قدره وسعة علمه عنده، ولم يكن ذلك شكا من عمر، بل طلبًا لكشف ما خفي عليه، وحثًا على إذلال الكفار، لما عرف عنه من قوته في نصرة الدين، وليقف على الحكمة في القصة وتتكشف عنه الشبهة"[(١)].

٧- لما قدم ركب بني تميم، فقد تعارضا عند النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما "[(٢)].

لقد تناظرا وتجادلا عمر وأبو بكر رضي الله عنهما في حضرة النبي ﷺ ولكن ارتفعت أصواتها فجاء العتب على ارتفاع الأصوات بحضرة النبي ﷺ ولم يرد على المعارضة بينهما. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾[(٣)]. قال الحافظ أبو نعيم: لا بأس بالمناظرة والمجاراة في العلم بحضرة العالم، ولابد مع هذا من مراعاة ما يختص بأدب الحضور بين يدي الشيخ)[(٤)].

ثالثًا: الإجماع:

انعقد الإجماع على مشروعية المناظرة بما ورد من أدلة من كتاب الله عز وجل وبما جاء من سُنة النبي ﷺ منها القولية أو الفعلية أو التقريرية وبما ثبت من مناظرة الصحابة بحضرة النبي ﷺ وكان يقرهم على ذلك. قال الخطيب البغدادي: إنا وجدنا أهل العلم في كل

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ٥صـ ٤٠٨/٤٠٩ بتصرف.

(٢) البخاري كتاب التفسير باب ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ رقم ٤٨٤٧ جـ٨صـ ٥٩٢.

(٣) سورة الحجرات الآية ٢.

(٤) التراتيب الإدارية جـ٢صـ ٣٢٩.

عصر يتناظرون ويتباحثون، ويحتج بعضهم على بعض، وقد وجدنا الأمة متفقة على حسن المناظرة)[١]. وقال أبو محمد ابن حزم: " وقد تحاج المهاجرون والأنصار وسائر الصحابة رضوان الله عليهم، وما أنكر قط أحد من الصحابة الجدال في طلب الحق)[٢]. وقال ابن القيم: " وهذه مناظرات رسول الله ﷺ وأصحابه لخصومه وإقامة الحجج عليهم، لا ينكر ذلك إلا جاهل مفرط في الجهل)[٣]. وقال ابن مفلح: " فأما الجدال فمأمور به لقصد الحق، دل عليه القرآن وفعله الصحابة والسلف، وذكره بعضهم إجماعًا "[٤].

المبحث الرابع

آداب الجدال

وضع العلماء آداباً ينبغي للخصمين أن يستعملاه في مناظرتهما، ويلزم كل مجادل أن يتأدب بأدب أهل العلم وأدب المختلفين، ويلزم أمر الله تعالى في محاجة غيره، وإتباع الشرع في هذه المجادلة طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، فالمجادلة بأدب تزيد صاحبها جمالاً وبهاءً وترك هذه الآداب تنقص من قدره ومن ذهاب بهائه. قال ابن مفلح: "وأدب الجدل يزين صاحبه، وتركه يشينه"[٥]، وقال ابن عقيل: "الأدب معيار العقول، ومعالم الكرام، وسوء الأدب مقطعة للخير، ومدمغة للجاهل، فلا تتأخر إهانته، ولو لم يكن إلا هجرانه وحرمانه"[٦]. وهذه بعض الآداب:

١- إخلاص القصد وحسنه

يلزم كل واحد منهما حسن القصد، بأن يرد كل واحد منهما قصد إظهار الحق في مناظرته ومجادلته، لا قصد إظهار فضيلته، قال الإمام الشافعي: " ما ناظرت أحدًا فباليت مع من كانت الحجة، إن كانت معه اتبعته)[٧]، وقال أبو نصر السجزي: " وليكن من قصد

---

(١) الفقيه والمتفقه جـ٢صـ ٦٢.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام جـ١صـ٢٨.

(٣) مفتاح دار السعادة جـ١صـ ١٤٦.

(٤) أصول الفقه جـ٣صـ ١٤١١.

(٥) أصول الفقه جـ٣ ص١٤٢٤.

(٦) الواضح في أصول الفقه جـ١ص٥٢٩.

(٧) الجذل في الجدل للطوفي ص٤٨ وحلية الأولياء لأبي نعيم جـ٩ ص١١٨ وفيها: ما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه " وفي سير أعلام النبلاء جـ١٠ ص٢٩ " ما ناظرت أحدًا إلا على النصيحة ".

من تكلم في السنة إتباعها وقبولها لا مغالبة الخصوم، فإنه يعان بذلك عليهم، وإذا أراد المغالبة ربما غلب "[١]، وقال الإمام الغزالي: " أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصمًا، ويشكره إذا عرفه وظهر له الحق)[٢].

٢- استظهار مذهب المخالف قبل المجادلة

أوصى العلماء من يريد أن يناظر أحداً ويجادله في مسألة أن يكون على معرفة تامة لهذه المسألة حتى يستطيع أن يرد عليها. وهذا الأمر دلنا عليه الشرع، فعندما أرسل النبي ﷺ معاذاً بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال له: " إنك تأتي قومًا أهل كتاب "[٣] قالوا: قال له النبي ﷺ هذا ليعرف ما عندهم في هذا الكتاب حتى يستطيع أن يرد عليهم بما جاءوا به. وأوصى العلماء بهذا الأمر لأهميته وأنه من إعداد العدة لمن يجادله، قال أبو حاتم بن حبان: " والعاقل لا يقاتل من غير عدة ولا يخاصم بغير حجة ولا يصارع بغير قوة "[٤] أي أنه إذ لم يتسلح بمعرفة ما عند خصمه قد لا يستطيع الرد عليه وقد يغلب لهذا السبب.

قال الشيخ ابن تيمية: " كل من خالفني في شيء مما كتبته فانا أعلم بمذهبه منه)[٥].

وقال الطوفي: " ولا يناظر أحدهما الآخر في علم لا يفهمه أو هو فيه ضعيف إذ المتعرض لذلك مهين لنفسه والداعي إليه مع علمه بقصور خصمه جائر عليه)[٦].

٣- مراعاة قدر من يجادله

أمرنا رسول الله ﷺ بمراعاة مقادير الناس واحترامهم فيعامل كل أحد منهم بما يليق بمنصبه في الدين والعلم والشرف. عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم)[٧].

وهذا الأدب نبه عليه العلماء فقالوا: إذا تناظر التلميذ مع شيخه أن يكون في غاية

---

(١) الرد على من أنكر الصوت والحرف ص٢٣٥.

(٢) إحياء علوم الدين جـ١صـ ٥٠.

(٣) البخاري كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن رقم ٤٣٤١جـ٨صـ٦٠.

(٤) روضة العقلاء صـ٢٥.

(٥) مجموع الفتاوى جـ٣صـ ١٦٣.

(٦) الجذل في الجدل صـ ٤٩.

(٧) مقدمة صحيح مسلم رقم ٦ جـ١صـ ٦.

الاحترام والتواضع وخفض الصوت ولا يغلظ عليه في الكلام ولا يعامله معاملة من في رتبته من العلم. قال ابن القيم: " فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعًا وعقلاً وعرفًا، ولذلك تجد الناس كالمفطورين عليه وهكذا كان النبي ﷺ يخاطب رؤساء العشائر والقبائل)[١].

٤- المجادلة بالحسنى

قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[٢] أمر من المولى عز وجل بالمجادلة بالحسنى، فالمجادلة بالحسنى فيها استمالة الخصم إلى قبول الحق وإلى ترك المعاندة، قال ابن الحنبلي في معنى الآية الكريمة: " الإصغاء إلى شبههم والرفق بهم في حلها ودحضها، ويحتمل بترك الغلظة في حال جدالهم لتكون عليهم الحجة أظهر والجحد منهم أنكد، وهي سنة الأنبياء عليهم السلام مع الأمم عند الدعوة والمجادلة)[٣]، وعدد العلماء فوائد وثمرات المجادلة بالحسنى منها:

١- أنها تقيم الحجة ولا تورث الوحشة.

٢- ترك العناد وإطفاء نار العصبية وقبول الرأي الآخر بسماحة وحب.

٣- سكون ولطف المخاطب واستمالته إلى الحق وقبوله.

٤- ترك الجرأة على الهجوم بالخلاف وترك الإصرار على المخالفة. والنفوس جبلت على ما ألفته فعندما نأمرها بالخروج عما ألفته فلابد من ملاطفتها والأخذ بيدها بالرفق والشفقة.

قال الإمام الغزالي: " فهؤلاء يجب التلطف بهم في استمالتهم إلى الحق لا في معرض اللجاج والتعصب، إن ذلك يُهيج بواعث التمادي والإصرار، وأكثر الجهالات إنما رسخت بتعصب جماعة أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلاء، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين الإزراء، فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة، وتعسر على العلماء المنطقيين محوها)[٤]. والمجادل المناظر إذا كان ظالمًا باغيًا فلا بأس من مخاشنته وإغلاظ القول معه

---

(١) بدائع الفوائد جـ٣صـ ١٣٢.

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٣) استخراج الجدال من القرآن الكريم صـ ٤٢.

(٤) إحياء علوم الدين جـ١صـ ١٩٦.

ولا تُعد هذه إساءة، قال أبو سعيد الخوارزمي: " الإساءة بلسان الحق إحسان)[١]. وقال الشيخ ابن تيمية: " ولما كانت المحاجة لا تنفع إلا مع العدل قال تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾[٢] فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتي هي أحسن)[٣].

٥- عدم التهاون مع المخالف (الخصم)

إن التهاون مع المخالف قد يؤدي إلى عدم الجد في القيام بالحجة، وهذا يفعله البعض إذا ناظره صغير قال العلامة الشنقيطي في آداب المتناظرين: ومنها ألا يحتسب خصمه حقيرًا قليل الشأن، لأن ذلك يؤدي إلى عدم الجد والاجتهاد في القيام بحجته، فيكون ذلك سببًا لغلبة الخصم الضعيف له)[٤]، وقال إمام الحرمين الجويني: " وإياك استصغار من تناظره والاستهزاء به كائنًا ما كان)[٥].

٦- الاتفاق على الأسس

من آداب المناظرة أنه لابد للمتناظرين أن يتفقا أولاً على الكليات لأنه لو لم يتفقا على هذه الكليات لم تستقم المناظرة، ولم تنتظم ولن يتم بينهما إقامة حجة ولا تقرير مذهب، قال الشاطبي: " وإن كان المناظر مخالفًا له في الكليات التي ينبنى عليها النظر في المسألة لا يستقيم له الاستعانة به، ولا ينتفع في مناظرته، إذ ما من وجه جزئي في مسألته إلا وهو مبني على كلي، وإذا خالف في الكلي ففي الجزئي المبني عليه أولى، فتقع مخالفته في الجزئي من جهتين ولا يمكن رجوعها إلى معنى متفق عليه فالاستعانة مفقودة)[٦].

وقال الشيخ ابن تيمية: " فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يُسلم الخصم المقدمات)[٧].

٧- اعتدال المزاج

من آداب المناظرة اعتدال المزاج وذلك بأن يكون المناظر في أحسن حالته فلا يكون

---

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب جـ١صـ ١٨٥.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦.

(٣) مجموع الفتاوى جـ٤صـ ١٠٩.

(٤) آداب البحث والمناظرة جـ٢صـ ٩١.

(٥) الكافية في الجدل صـ ٥٣١.

(٦) الموافقات جـ٤صـ ٣٣٢.

(٧) مجموع الفتاوى جـ١٩ صـ ١٦٥.

في حالة جوع أو عطش أو الانشغال بأمر ما، ولا في حال الخوف والغضب. قال ابن القيم: " ومعلوم أن الرأي لا يتحقق إلا مع اعتدال المزاج)[١]. وقال ابن عقيل الحنبلي: "والمناظرة حيث وضعت فإنها وضعت لاستخراج حكم الله في الحادثة، فاعتبر لها اعتدال الطبع)[٢].

٨- ترك المداخلة والمصادرة والمقاطعة

من آداب المناظرة أنه إذا بدأ أحد الطرفين بالكلام وبذكر حججه وجب على الطرف الآخر أن ينصت له ولا يقاطعه ويجب عليه عدم المداخلة حتى يأتي على آخر كلامه. يقول الإمام الطوفي عن هذا الأدب الهام في المناظرة: " وليتناوبا الكلام مناوبة لا مناهبة بحيث يُنصت المعترض للمستدل حتى يفرغ وتقريره للدليل ثم المستدل للمعترض حتى يقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منهما على الآخر كلامه في إثباته وإن فهم مقصوده من بعضه، وبعض الناس يفعل هذا تنبيهًا للحاضرين على فطنته وذكائه، وليس ذلك فضيلة، إذ المعاني بعضها مرتبط ببعض وبعضها دليل على بعض، وفي قطع كلام الخصم في إثباته يقول الفقهاء: الكلام بآخره لكنهم فى وقتنا هذا لا يلتفتون إليه بل هم فيه كما قيل: لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم[٣]، فإن أحدهم يقطع كلام صاحبه فإذا قطع صاحبه كلامه قال له: الكلام بآخره فيبقى كما قيل فى المثل: لِمَ باؤك تجر وباؤنا لا تجر. وليقبل كل واحد منهما من صاحبه الحجة فإنه أنبل لقدره وأعون على إدراك الحق وسلوك سبيل الصدق.قال الإمام الشافعي: ما ناظرت أحدًا فقبل منى الحجة إلا عظم في عيني، ولا ردها عليّ إلا سقط في عيني)[٤].

وفي آدابه كثرة لمن تتبعها وفكر فيها وقد عدَّ منها بعض العلماء:

١- "تحرير موضع النزاع بألفاظ واضحة غير مشتبهة.

٢- عدم الإفراط في التوقي من الخصم.

٣- ترك الإلتفات إلى الحاضرين.

٤- الإقبال على المناظر.

---

(١) بدائع الفوائد جـ٣صـ ١٣٦.

(٢) الجدل على طريقة الفقهاء صـ ٢٤٤.

(٣) البيت نسبه سيبويه إلى الأخطل ينظر معجم شواهد العربية صـ ٣٥٥.

(٤) الجذل في الجدل صـ ٤٩ بتصرف.

٥- تفحص الكلام قبل إرساله.
٦- إنصاف مناظرك.
٧- مراعاة كلام المناظر.
٨- الحرص على ود الصاحب.
٩- الحذر من الشفاعة على المخالف.
١٠- الإعراض عن العجب.
١١- تقديم الأقوى من الحجج.
١٢- التبسم مع المخالف.
١٣- لا يؤرد ما لم يُخبر.
١٤- التباعد عن حشو الكلام.
١٥- الاحتراز في السؤال "[١].

المبحث الخامس

عرض لبعض صور الجدال فى القرآن الكريم

عرض القرآن الكريم صوراً كثيرة من الجدال، وقد تناولت فى هذا المبحث بعض هــذه الصور وليس كلها.

الصورة الأولى: عرض الأدلة على وجود الصانع سبحانه وتعالى

الأدلة الواردة فى القرآن الكريم فى هذا الموضع كثيرة وفى سور عديدة، يقول تعالى: ﴿**أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ**﴾[٢]. يقول الإمام الفخر الرازى[٣] " أنه تعالى لما حكم بمجيء يوم القيامة وقسم أهل القيامة إلى قسمين، الأشقياء والسعداء، ووصف أحوال الفريقين، وعلم أنه لا سبيل إلى ذلك إلا بواسطة إثبات الصانع

(١) ينظر الكافية في الجدل صـــ ٥٣٠، وبهجة المجالس جـــ١ صـــ٦١، وأدب المفتي والمستفتي صـــ١١١، وآداب البحث والمناظرة جـــ٢صـــ٩١.
(٢) سورة الغاشية الآيات ١٧- ٢١.
(٣) تفسير الفخر الرازى جـــ٣١صـــ١٤٢.

الحكيم، لا جرم اتبع ذلك بذكر هذه الدلالة. وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا... وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا**﴾[1] وصرف سبحانه هذه الكلمات فى كتابه العزيز وصرف الدلالة منها الدلالة على وجوده، وقدرته، وحكمته، وأنه لا مشارك له، ولا معاضد، ولا مغالب فقال تعالى: ﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا...** إلى قوله تعالى **مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ**﴾[2].

"الآيات الواردة فى سورة النبأ وهى السورة التى بدأت بقوله تعالى ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ*عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾ وهو خبر القيامة والبعث ويسأل الناس عن وقت حدوثه فجاءت الآيات لبيان قدرته تعالى والمستدل عليها بعظم مخلوقاته، وبالتفكر فى هذه المخلوقات وكيف تسير لابد وأن يهتدى الإنسان إلى خالقها وأنه لابد لهذه المخلوقات من خالق عظيم.

والأدلة على وجود الصانع لا تحصى لأن كل موجود عن عدم فهو دليل على وجود موجد كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾[3] وذلك التسبيح إذعان لموجود وعبادة لربه كما قيل وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد)[4].

وجاء فى معنى قوله تعالى: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ أى "ويتفكرون فى خلق السموات والأرض وما فيهما من الأسرار والمنافع الدالة على العلم الكامل والحكمة البالغة والقدرة التامة والفوز والنجاة إنما يكون بتذكر عظمة الله والتفكر فى مخلوقاته من جهة دلالتها على وجود خالق واحد له العلم والقدرة ويتبع ذلك صدق الرسل وللحساب والجزاء على الأعمال بدخول الجنة أو النار"[5].

الصورة الثانية: عرض الأدلة
على أنه واحد لا شريك له سبحانه وتعالى

الأدلة على أن الله واحد لا شريك له مثبتة فى كتاب الله عز وجل من ذلك قوله تعالى:

---

(١) سورة النبأ الآيات ٦- ١٦.

(٢) سورة النازعات الآيات ٢٧- ٣٣.

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٤.

(٤) استخراج الجدال من القرآن الكريم جـ١صـ٥١/٥٢.

(٥) تفسير المراغى جـ٤صـ١٦٣ بتصرف.

﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾[1] أى لو كان فى السموات والأرض آلهة معبودة غير الله لفسدتا، أى لبطلتا يعنى السموات والأرض بما فيهما.

فى معنى الآية الكريمة " أى لو كان فى السموات والأرضين آلهة غير الله معبودون لفسدتا، ولو كان فيهما آلهة سوى الله لفسد أهلها ولفسد التدبير لأن أحداهما إن أراد شيئاً والآخر ضده كان أحدهما عاجزاً. وقيل: معنى ﴿**لَفَسَدَتَا**﴾ أى خربتا وهلك من فيهما بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) نزه نفسه وأمر العباد أن ينزهوه عن أن يكون له شريك أو ولد)[2].

ودليل آخر قوله سبحانه وتعالى ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[3]. قيل فى المعنى: "فى الكلام حذف وتقديره: ولو كان معه آلهه، وإنما حذف للإيجاز، والإيجاز مستحسن فى كل مكان وههنا أكمل حسناً لئلا يتكرر ذكر الإله، وإنما ذهب كل إله بما خلق لأجل طلب الاستعلاء بالعلو والقدرة، وذلك منشأ المخالفة، والتغالب، والمغلوب لا يكون إلهاً. وبين سبحانه وتعالى كذب ما ينسبونه إلى الله سبحانه وتعالى من الولد والشريك ثم نفاهما عن نفسه، ثم بين سبحانه ما يستلزمه ما يدعيه الكفار من إثبات الشريك فقال تعالى: ﴿**إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ**﴾ وفى الكلام حذف تقديره: لو كان مع الله آلهة لانفرد كل إله بخلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخر، ووقع بينهم التطالب، والتحارب، والتغالب، ولعلا بعضهم على بعض أى: غلب القوى على الضعيف وقهره، وأخذ ملكه لعادة المملوك من بنى آدم، وحينئذ فذلك الضعيف المغلوب لا يستحق أن يكون إلهاً، وإذا تقرر عدم إمكان المشاركة فى ذلك، وأنه لا يقوم به إلا واحد تعين أن يكون هذا الواحد هو الله سبحانه، وهذا الدليل كما دل على نفى الشريك فإنه يدل على نفى الولد)[4].

قال الطوفى فى تفسير الآية الكريمة " هذا رد على المشركين والمدعين لله البنات والبنين ثم احتج لذلك بقوله تعالى: ﴿**إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ**﴾ أى: لو كان معه إله غيره

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٢.

(٢) تفسير القرطبى جـ١١صـ٢٧٩.

(٣) سورة المؤمنون الآية ٩١.

(٤) تفسير فتح القدير للشوكانى جـ٣صـ٥٨٧،وتفسير القرطبى جـ١٢صـ١٤٦.

لكان خالقًا لبعض العالم مثله، ولو كان كذلك لتصرف كل واحد من الآلهة فيما خلق تصرفًا تامًا ولذهب به إهلاكًا وإنحيازًا، وفيه إشارة إلى معنى قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ أى لو انحاز كل إله بما خلق لوقع بينهم الحرب والقتال على عادة الملوك فى انحيازهم بالعسكر والجيوش، فكان يفسد العالم أيضًا (ولعلا) أى غلب "بعضهم على بعض" واللازمان باطلان)[1].

ودليل آخر قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**﴾[2].

ومعناه: أن الألهة تطلب المنازعة والمخالفة فى المراد، فحينئذ يقع الفساد، إذ يريد أحدهما حياة شخص، والآخر موته أو إسعاده والآخر إشقاءه، فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم من الحركة والسكون وهو ممتنع، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلهاً، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله الواحد القادر والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية)[3].وهذه الأدلة السابقة مبنية على ما يعرف بدليل التمانع.

الصورة الثالثة: عرض أدلة البعث

الآيات الواردة فى كتاب الله عز وجل لإثبات البعث كثيرة من ذلك قوله تعالى: ﴿**أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا**﴾[4] جاء فى المعنى " ويقول الإنسان: أإذا ما مت لسوف أخرج حيا أى: ويقول الكافر المشرك منكر البعث متعجباً مستبعداً إعادته بعد موته: هل إذا مت وأصبحت تراباً سوف أخرج حياً من القبر وأبعث للحساب، ونظير الآية ﴿**وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[5]، والدليل على إمكان الإعادة:

---

(١) الجذل فى الجدل للطوفى صـ٢٠١.

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٢.

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ٢٢صـ١٢٨، وتفسير القرطبى جـ١١ص٢٧٩.

(٤) سورة مريم الآية ٦٧.

(٥) سورة الرعد الآية ٥.

١- يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل، ولم يك شيئاً أى ألا يتفكر هذا الجاحد فى أول خلقه، فقد خلقناه من العدم، دون أن يكون شيئاً موجوداً، فيستدل بالإبتداء على الإعادة، والإبتداء أعجب وأغرب من الإعادة.

٢- ثم هدد تعالى منكرى البعث تهديداً من وجوه:

قال تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا**﴾[١] وهذا الإحضار يكون قبل إدخالهم جهنم، ويكون على أذل صورة لقوله ﴿**جِثِيًّا**﴾.

٣- قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا**﴾[٢] أى لننزعن ونأخذن من كل فرقة دينية، أو طائفة من طوائف الغى والفساد أعصاهم، وأعتاهم، وأكثرهم تكبراً، وتجاوزاً لحدود الله)[٣].

ومثله قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾[٤] ثم ذكر سبحانه وتعالى: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[٥]، جاء فى معنى الآية: "ذكر سبحانه وتعالى شبهة فقال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ فجاء الجواب من وجهين: **أحداهما:** جدلاً يتضمن فساد شبهته من جهة أنه استبعد الإعادة والحياة فى عظام وحش وترك نفسه وذلك أهم من إحياء الحيوان لأن إيجاد الحيوان البهيم كان لأجل الإنسان. **الوجه الثانى:** ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ إلى آخر السورة. فإن إيجاد المبادى أصعب فى مطرد العرف، وحكم العقل من رد شىء كان إلى ما كان على ما لا يخفى.

---

(١) سورة مريم الآية ٦٨.

(١) سورة مريم الآية ٦٩.

(٢) التفسير المنير جـ١٦ صـ١٤٥.

(٣) سورة يس الآية ٧٧.

(٤) سورة يس الآيات ٧٨- ٨٣.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا**﴾ معناه: إيجاد شيء مما ينافيه وينافره، فلابد من قوة من خارج تغلب على المتنافرين المتنافيين بفعل ذلك، ثم قال سبحانه ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ**﴾ معناه: من قدر على خلق السموات والأرض قدر على خلق هذا النوع اللطيف والشكل الضعيف، وإذا قدر على إيجاده قدر على رده بعد نفاده، ثم أخبر سبحانه عن نفسه بماذا يخلق الأشياء وتكون فقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[1] وفى موضع: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[2] وعند ذلك سبح نفسه فقال تعالى: ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ فعم الموجود والمعدوم والإبداء والإعادة وجعل الرجوع خاتمة الكلام لأن الإنكار له والأدلة أقيمت عليه)[3].

ومن أدلة البعث قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[4] وإنما قال سبحانه ﴿**وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ ضرب مثل لأن المقدورات عندنا متفاوته فى العسر واليسر باختلاف القدرة التى تزيد وتنقص فى حقنا، ولما كان إيجاد شيء مستحيلاً منا، وإيجاد شيء من شيء ممكناً، فاستعار له كلمة " أفعل " ضرب ذلك مثلاً ولما استحال فى حقه العجز والضعف عن إيجاد شيء من لا شيء. قال تعالى: ﴿**وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى**﴾ وذلك مطرد فى سائر صفاته سبحانه من العلم والقدرة والحياة والرحمة والرضا والغضب، وكل صفة وصف بها الإنسان من ذلك مثاله قولنا عالم والواحد منا عالم ولكن يطلق على المخلوق باعتبار معلوم ما، وإن علمه من جهة جهله من جهات، ثم علمه إما بطريق الخبر والنظر أو الاضطرار، والله سبحانه وتعالى عالم بما كان وما يكون على وجه لا يخفى عليه شيء، ولا يداخله الشك، ولا الذهول ولا النسيان، ولا يتقدم بزمان ولا مكان، ولا نظير ولا خير، ولا اضطرار، قال

---

(١) سورة يس الآية ٨٢.

(٢) سورة النحل الآية ٤٠.

(٣) استخراج الجدال من القرآن الكريم جـ١صـ٩١- ٩٣.

(٤) سورة الروم الآية ٢٧.

تعالى: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ**﴾[١] فهذا معنى قوله تعالى: ﴿**وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى**﴾.

ومن أدلة البعث كذلك قوله تعالى: ﴿**فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى* أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾[٤] ومثله الاستدلال بحياة الأرض بعد الموت للحساب كقوله: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى**﴾[٥].

ومن أدلة البعث أيضاً قوله تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٦].

وجاء فى الإتقان " استدل سبحانه وتعالى على المعاد الجسمانى بضروب. **أحدها:** قياس الإعادة على الإبتداء كما قال تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾[٧] ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾[٨] ﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ**﴾[٩]. **ثانيها:** قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى قال تعالى ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**﴾[١٠]. **ثالثها:** قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات. **رابعها:** قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر. وقد روى الحاكم[١١] وغيره أن أبى بن

---

(١) سورة الملك الآية ١٤.

(٢) سورة الإسراء الآية ٥١.

(٣) سورة ق الآية ١٥.

(٤) سورة القيامة الآيات ٣٦- ٤٠.

(٥) سورة فصلت الآية ٣٩.

(٦) سورة العنكبوت الآية ٢٠.

(٧) سورة الأعراف الآية ٢٩.

(٨) سورة الأنبياء الآية ١٠٤.

(٩) سورة ق الآية ١٥.

(١٠) سورة يس الآية ٨١.

(١١) أخرجه الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعد ما أرم ؟ قال: نعم يبعث الله هذا، ويميتك، ثم=

خلف جاء بعظم ففته فقال: أيحيى الله هذه بعد ما بلى ورم ؟ فأنزل الله ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[1] فاستدل سبحانه وتعالى برد النشأة الأخرى إلى الأولى والجمع بينهما بعلة الحدوث، ثم زاد فى الحجاج بقوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا**﴾ وهذه فى غاية البيان فى رد الشيء إلى نظيره والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليهما. **خامسها:** فى قوله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[2] وتقريرها: أن اختلاف المختلفين فى الحق لا يوجب انقلاب الحق فى نفسه، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه والحق فى نفسه واحد فلما ثبت أن ها هنا حقيقة موجودة لا محالة، وكان لا سبيل لنا فى حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف، ويرفع عنا الاختلاف، إذ كان الاختلاف مركوزاً فى فطرنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الحيلة ونقلها إلى صورة غيرها)[3].

المبحث السادس

عرض جدال بعض الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم

أتناول فى هذا المبحث عرضًا لبعض ما أورده القرآن الكريم من جدال بعض الأنبيـــاء عليهم السلام لأممهم.

أولاً: جدال سيدنا نوح عليه السلام:

نوح عليه السلام أول المرسلين، دعا قومه إلى عبادة الله الواحد القهار، وطال فى مجادلتهم حتى أن قومه سئموا من هذه المجادلة وقد ذكر القرآن الكريم اقرارهم بكثرة مجادلته لهم.

قال تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**... إلى قوله تعالى **لِتَسْلُكُوا مِنْهَا**

=يحييك، ثم يدخلك نار جهنم " قال فنزلت الآيات ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾ كتاب التفسير باب سورة يس جـ٢صـ٤٦٦. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبى: على شرط البخارى ومسلم.

(١) سورة يس الآية ٧٩.

(٢) سورة النحل الآية ٣٨.

(٣) الإتقان جـ٢صـ١٧٢، والبرهان جـ٢صـ٢٧.

سُبُلا فِجَاجًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾[2].

أجابهم نوح عليه السلام بالحجة العظمى فقال ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[4].

الآيات السابقة تبين لنا قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه، وما كان منهم من جدال حول حقائق العقيدة، ودعوة سيدنا نوح عليه السلام لهم إلى الإيمان بالله عز وجل. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ يلخص لهم وظيفة رسالته لهم وهى: أنه جاء لهم ﴿**نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ ثم يدعوهم لتوحيد الله عز وجل فقال لهم ﴿**أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ**﴾ وهى دعوة جميع الأنبياء والرسل لقومهم، فماذا كان جواب قومه ؟

يقول سيد قطب تعليقاً على جوابهم ﴿**فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا..**﴾ ذلك رد العلية المتكبرين، كبار القوم المتصدرين، وهو يكاد يكون رد الملأ من قريش، الشبهات ذاتها، والاتهامات ذاتها، والكبرياء ذاتها، والاستقبال الغبى الجاهل، إنها الشبهة التى وقرت فى نفوس جهال البشر: أن الجنس البشرى أصغر من حمل رسالة الله تعالى، فإن تكن رسالة فليحملها ملك، أو مخلوق آخر، وهى شبهة جاهلة، مصدرها عدم الثقة بهذا المخلوق الذى استخلفه الله فى أرضه، وهى وظيفة خطيرة ضخمة، لابد أن يكون الخالق قد أودع فى هذا الإنسان ما يكافئها من الاستعداد والطاقة لتحمل أعباء هذه الرسالة..)[5].وتبين الآيات السابقة ما كان من عناد قومه وكفرهم وإصرارهم على عبادة الأصنام، وعقابهم فى الدنيا والآخرة، ودعاء

---

(١) سورة نوح الآيات ١٠- ٢٠.

(٢) سورة هود الآية ٢٥- ٢٧.

(٣) سورة هود الآية ٢٨.

(٤) سورة هود الآية ٣٢.

(٥) تفسير فى ظلال القرآن جـ٤صـ١٨٧٣.

سيدنا نوح عليهم بالهلاك والدمار بعد جهاد طويل فى الدعوة دام تسع مائة وخمسين سنة.

ثانياً: جدال سيدنا إبراهيم عليه السلام:

عرض القرآن الكريم جدال سيدنا إبراهيم عليه السلام فى سور كثيرة مقسمة جداله عليه السلام ثلاثة أقسام: **الأول:** جداله مع الصابئه. **والثانى:** مع أبيه. **والثالث:** مع النمروذ وقومه.

أولاً: جداله عليه السلام مع الصابئه:

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1].

لبيان معنى الآيات السابقة لابد من ذكر الآية السابقة لهذه الآيات وهى قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾[2].

المعنى: "وأرينا إبراهيم ملكوت السموات والأرض، أى خلقهما بما فيهما من بديع النظام، وغريب الخلق والصنع، فاطلع على أسرار الكون وخفاياه من أرض وسماء، ليستدل بذلك على وحدانيتنا، وعظيم قدرتنا وسعة علمنا ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[3]، نعرف إبراهيم ذلك ونبصره، ونوفقه ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره، وهديناه لطريق الاستدلال، وليكون ممن أيقن تمام اليقين أن شيئاً من الأصنام والشمس والقمر والكواكب لا يصح أن يكون إلهاً، لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها محدثاً أحدثها، وصانعاً صنعها، ومدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها فتكون تلك الآيات داله على الألوهية والربوبية، وحجة على المشركين الضالين. واليقين: علم قطعى يحصل بعد زوال الشبهة بسبب التأمل. ثم أوضح الله تعالى ما رآه إبراهيم من ملكوت السموات والأرض فقال: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي**﴾ أى: قال هذا ربى فى مقام المناظرة

---

(١) سورة الأنعام الآيات ٧٦- ٧٩.

(٢) سورة الأنعام الآية ٧٥.

(٣) سورة النمل الآية ٨٨.

والحجاج لقومه، تمهيداً للإنكار عليهم ولإقامة الحجة عليهم، فأوهمهم أولاً أنه موافق لهم على زعمهم، ثم نقضه بالحس والعقل، واستمر إبراهيم عليه السلام فى بيان إبطال ما كانوا يعبدونه من دون الله بطريق الحس والعقل، ثم قال إبراهيم عليه السلام مسمعاً قومه: ولئن لم يهدنى ربى ويوفقنى لإصابة الحق فى توحيده لأكونن من القوم الضالين، وفى هذا تعريض قريب من التصريح بضلال قومه، وتنبيه لهم على أن من اتخذ معبودات من دون الله فهو ضال، وموقف إبراهيم عليه السلام كان موقف المجادل البارع على سبيل الافتراض أنه غير مؤمن، أما فى الحقيقة فلم يكن إبراهيم عليه السلام ناظراً فى مقام إثبات الألوهية والربوبية لأن الله تعالى قال فى حقه: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ**﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[(٣)].

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال " ما من مولود إلا يولد على الفطرة)[(٤)]. وفى صحيح مسلم عن عياض بن حماد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله: إنى خلقت عبادى حنفاء)[(٥)] فإذا كان هذا فى حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل عليه السلام الذى جعله الله أمة، قانتاً لله حنيفاً، ولم يكن من المشركين، ناظراً فى هذا المقام بل هو أولى بالفطرة السليمة المستقيمة بعد رسول الله ﷺ)[(٦)]. وقال الإمام ابن كثير " والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان فى هذا المقام مناظرًا لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام)[(٧)].

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٥١.

(٢) سورة النحل الآيات ١٢٠- ١٢٢.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٦١.

(٤) أخرجه البخارى كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه جـ١صـ٢٣٥.

(٥) أخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار حديث ٢٨٦٥ جـ٤صـ٢١٩٧.

(٦) التفسير المنير جـ٧صـ٢٦٥ بتصرف.

(٧) تفسير ابن كثير جـ٢صـ١٥١.

الثانى: جداله عليه السلام مع أبيه:

قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾[1].

قال القرطبى فى معنى الآيات: "اقرأ عليهم يا محمد فى القرآن امر إبراهيم فقد عرفوا أنهم من وَلَدِه فإنه كان حنيفاً مسلماً وما كان يتخذ الأنداد، فهؤلاء لم يتخذوا الأنداد، وهو كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾[2]، وقوله تعالى ﴿**إِذْ قَالَ لأَبِيهِ**﴾ وهو آزر أمره بالا يعبد الشيطان ولا يطعه فإن الشيطان كان لله عز وجل عاصيًا، وقال له: إنى أخاف أن تموت على كفرك فيمسك العذاب وتكون للشيطان قريناً فى النار، فما كان جواب أبيه إلا أن قال له: أترغب عن آلهتى يا إبراهيم إلى غيرها ﴿**لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ**﴾ أى لأضربنك أو لأشتمنك أو لأرجمنك بالحجارة ﴿**وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾ قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: أى اعتزلنى سالم العِرض لا يصيبنك منى معره)[3].

الثالث: مع النمروذ وقومه:

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[4].

" الصادر من خصمه معارضة إلا أنها فاسدة، لأن حقيقة الإحياء والإماتة التى فسرها خصمه غير الذى قصده إبراهيم فلا يخلو حال نمرود إما أن يكون ما فهم حقيقة الإحياء، أو فهم إلا أنه قصد المصادمة والمباهتة وكلاهما يوجب العدول إلى دليل يفصح معارضته ويقطع حجاجه، ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الإنتقال إلى دليل آخر أقرب

---

(١) سورة مريم الآيات ٤١- ٤٦.

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٠.

(٣) تفسير القرطبى جـ١١صـ١١٠- ١١٦ بتصرف.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٨.

إلى الفهم)[1]. وجاء فى تفسير الآية الكريمة " القصة " فى الآية هى: مناظرة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ملك زمانه وهو النمروذ بن كنعان وهو أول من تجبر وادعى الربوبية، والمحاجة المغالبة: يقال حاججته فحججته، أى غالبته فغلبته، والضمير فى قوله ﴿**فِي رَبِّهِ**﴾ يحتمل أن يعود إلى إبراهيم، ويحتمل أن يرجع إلى الطاعن، والأول أظهر، كما قال تعالى: ﴿**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ**﴾[2]. والمعنى وحاجة قومه فى ربه ﴿**أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ**﴾ متعلق بحاج على وجهين: **أحدهما:** حاج لأن آتاه الله الملك على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك أو على أنه وضع المحاجة فى ربه موضع ما وجب عليه الشكر على أن آتاه الله الملك، فكأن المحاجة كانت لذلك، **والثانى:** حاج وقت أن آتاه الله الملك، فقال ﴿**أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾ يريد أعفو عن القتل، وأقتل، وكان الاعتراض عتيداً، ولكن إبراهيم عليه السلام لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه، لكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شىء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة)[3].

قال تعالى: ﴿**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[4].

حاجه قومه: أى خاصمه وجادله قومه فى دينه، قال أتحاجونى فى الله أى أتجادلوننى فى توحيد الله، وقد هدانى للتوحيد والحق، ولا أخاف ما تشركون به ــ، وذلك أنهم قالوا له: احذر الأصنام فإنا نخاف أن تمسَّك بسوء، فقال لهم وكيف أخاف ما أشركتم به، يعنى: الأصنام وهى لا تبصر ولا تسمع ولا تنفع، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به

(١) استخراج الجدال من القرآن الكريم جـ١صـ٥٢.

(٢) سورة الأنعام الآية ٨٠.

(٣) تفسير الكشاف جـ١صـ٣٠٥، ٣٠٦ بتصرف، وتفسير الفخر الرازى جـ٧صـ٢٠- ٢١ بتصرف.

(٤) سورة الأنعام الآيتان ٨٠- ٨١.

عليكم سلطانا، وحجة وبرهاناً، وهو القاهر القادر على كل شيء، فأى الفريقين أحق، أولى بالأمن، أنا وأهل دينى أم أنتم)[1].

قال الشيخ ابن تيمية " ومنشأ الحق من معرفة الحق والمحبة له والله هو الحق المبين، ومحبته أصل كل عبادة، فلهذا كان أفضل الأمور على الإطلاق معرفة الله ومحبته، وهذا هو ملة إبراهيم خليل الله تعالى، الذى جعله الله للناس إمامًا، وجعله أمة يأتم به الخلق، وهو الذى ناظر المعطلين والمشركين)[2].

ثالثاً: جدال سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون:

قال تعالى: ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**﴾[3].

الإشارة إلى وجه الدلالة من ذلك "أن فرعون لما قال ﴿**وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ علم موسى أنه سؤال عن ماهية رب العالمين، ورب العالمين لا ماهية له، لأنه الأول، فلا شيء قبله فيكون منه، بل هو مكِّون ما تتكون الأشياء منه، فلم يشتغل موسى برد سؤاله وبيان فساده، وكان المقصود تعريف الرب جلّ وعلا بصفته فقال ﴿**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾ فحصر الكائنات فى ثلاث كلمات فلما قال ﴿**أَلا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ**﴾ رداً على فرعون قوله ﴿**أَنَا رَبُكم الأَعْلَى**﴾ فلما قال ﴿**إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾ أردف ما ذكر بشاهدين آخرين فقال ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾ لأن المشرق والمغرب آيتان عظيمتان لا يقدر فرعون على أدعائهما فلما

---

(١) تفسير البغوى جـ٢صـ١٤٠.

(٢) درء تعارض العقل والنقل جـ٧صـ١٧٤، ١٧٥.

(٣) سورة الشعراء الآيات ١٦- ٣٣.

اندحضت حجته قال ﴿**لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**﴾ وكون العصا ظهرت فى صورة ثعبان مناسب لحاله لأن مسها لين وفعلها قاتل، وفرعون بإظهار كرمه وعدله لين وفعله قاتل لنفسه وغيره، فأما يده البيضاء فالإشارة جئتك بالشرع النير الأبيض الذى لا ظلمة فيه كما قال رسول الله ﷺ "جئتكم بها بيضاء نقية)[1] ولما كانت آية موسى عليه السلام حسيه ومعجزاته مرئية لم يخاطبهم بالحجة العظمى لأنها عقلية، ولما هموا بقتله ألهم الله عز وجل مؤمن آل فرعون الحجة العظمى[2] فقال ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**﴾[3].

مناظرة موسى عليه السلام مع آدم عليه السلام:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذى أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال آدم: أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومنى على أمر قُدر علىَّ قبل أن أُخلَق ؟ فقال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى مرَّتين "[4] قال الحافظ ابن حجر " فيه مشروعية الحجج فى المناظرة لإظهار الحق، وإباحة التوبيخ والتعريض فى أثناء الحجاج ليتوصل إلى ظهور الحجة، وفيه مناظرة العالم من هو أكبر منه، والابن أباه، ومحل مشروعية ذلك إذا كان لإظهار الحق، أو الازدياد من العلم، والوقوف على حقائق الأمور)[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٢٣ صـ٣٤٩ عن جابر بن عبد الله قالوا إسناده ضعيف لضعف مجالد، وهو ابن سعيد، أخرجه ابن أبى شيبة ٩/٤٧، والبيهقى فى شعب الإيمان ١٧٧، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله جـ٢صـ٤٢، والدارمى حديث ٤٣٥.

(٢) استخراج الجدال من القرآن الكريم جـ١صـ٥٥.

(٣) سورة غافر الآية ٢٨.

(٤) البخارى كتاب أحاديث الأنبياء باب وفاة موسى وذكره بعد جـ٦صـ٤٤٠ رقم ٣٤٠٧، ومسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام جـ٤صـ٢٠٤٢ رقم ٢٦٥٢.

(٥) فتح البارى جـ١١صـ٥١٢.

المبحث السابع
عرض أدلة نبوة سيدنا محمد ﷺ
وأنه رسول رب العالمين وعرض بعض أمثلة من
مجادلة قومه وأهل الكتاب معه ﷺ

القرآن الكريم كله دليل على صدق رسالته ﷺ بل كل سورة منه دليل عليه، لمكان العجز عن الإتيان بمثلها. وقد ورد التحدى بذلك فى القرآن الكريم فى خمسة مواضع:

١- فى قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[١].

٢- قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٣].

٤- قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٤].

٥- قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾[٥].

دليل آخر على نبوته ﷺ يقول المولى عز وجل فى خطاب خاص باليهود والنصارى ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾[٦] وقد علموا أنه ﷺ لا يعرف الكتابة ولا النظر فى الكتب.

دليل آخر فى قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ**

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٨.

(٣) سورة هود الآية ١٣.

(٤) سورة يونس الآية ٣٨.

(٥) سورة الطور الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٦) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾(١).

فالدلالة فى الآية من وجهين. "**إحداهما:** أن هذه الصفات لا تكون إلا فى الصادقين، إذ كانت أعدل السمات وأكمل الصفات. **الثانى:** ذكرهم فى التوراة والإنجيل.

دليل آخر وهو خاص باليهود. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(٣). قال ابن عبد البر: كان بين الأوس والخزرج من العداوة ما لم يكن بين أحد من بنى آدم فألف الله قلوبهم لأجل نصرة نبيه محمد ﷺ فصاروا يداً واحدة وقلباً واحداً. وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾(٥).

دليل آخر قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾(٦). وهذا دليل يدل بسياقه وبخصوصه على نصارى نجران.

دليل آخر قوله تعالى: ﴿**الم* غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ...**﴾(٧)، وقوله تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا**﴾(٨). فكان كذلك.

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٢) سورة الأنعام الآية ١١٤.

(٣) سورة الأنفال الآيتان ٦٢، ٦٣.

(٤) سورة التوبة الآية ٣٣.

(٥) سورة الشورى الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٦) سورة آل عمران الآية ٦١.

(٧) سورة الروم الآيات ١- ٥.

(٨) سورة الفتح الآية ٢٧.

دليل آخر قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ**﴾[1]. وفى هذا دليل ظاهر على صدق الرسول ﷺ لأنه من الغيب الذى لا يعلمه إلا الله فإنهم أخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم.

أمثلة من مناظرة النبي ﷺ للصحابة رضى الله عنهم،

ولليهود وللمشركين، ولابن صياد

أ- مناظرة النبي ﷺ للصحابة في صلح الحديبية:

صالح النبي ﷺ المشركين في الحديبية "على أن لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع أحدًا من أصحابه أراد أن يقيم بها)[2] فكره المسلمون ذلك، وعارض عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله ﷺ وقال له " ألست نبى الله حقا ؟ قال: بلى قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى. قال: فلم نعط الدنية فى ديننا إذاً ؟ قال ﷺ " إنى رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصرى)[3].

ذكر ابن حجر " زاد الواقدى من حديث أبى سعيد " قال عمر: لقد دخلنى أمر عظيم، وراجعت النبى ﷺ مراجعة ما راجعته مثلها قط " وفى رواية أخرى " فقال عمر: ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ؟ فعلام نعطى الدنية فى ديننا، ونرجع ولم يحكم الله بيننا ؟ فقال ﷺ: يا ابن الخطاب، إنى رسول الله، ولن يضيعنى الله " ولم يكن ذلك شكا من عمر، بل طلبًا لكشف ما خفى عليه وحثًا على إذلال الكفار، لما عرف من قوته فى نصرة الدين)[4]. وقال أبو على عمرو السكونى " وهذا السؤال من عمر رضى الله عنه على أحد وجهين: إما أن يكون طالبًا للجواب عما استشكل من غير ريب، كطالب دفع الشبهة من غير ريب فى العقل لأنه من المشهود لهم بالصدق. والوجه الثانى:

---

(١) سورة الحشر الآيتان ١١، ١٢.

١) البخارى كتاب الصلح باب كيف يكتب: هذا ما صالح فلان ابن فلان فلان ابن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه جـ٥ ص٣٥٨.

(٣) البخارى كتاب الشروط باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط جـ٥ص٣٢٩ رقم ٢٧٣٢، ومسلم كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية جـ٣صـ١٤١١ رقم ١٧٨٥.

(٤) فتح البارى جـ٥صـ٤٠٨.

أن لا يكون مستشكلاً بل أقام نفسه سترًا جميلاً لمن خلفه ممن يتقى عليه الريب، فسأل ليسمع غيره الجواب)[١].

ب- مناظرة النبى ﷺ لليهود:

روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: أقبلت يَهودُ إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرعد ما هو ؟ قال: " ملكُ من الملائكة مُوَكَّلُ بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء. فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع ؟ قال: زجرة بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أُمر. قالوا: صدقت. فقالوا: فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال اشتكى عرق النسا فلم يجد شيئًا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمها، قالوا: صدقت)[٢]. وروي عن أنس رضي الله عنه قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ، وهو في أرض يخترف[٣]، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال ﷺ: " أخبرني بهن جبريل آنفًا " قال: جبريل؟ قال ﷺ " نعم " قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[٤] أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: " أي رجل عبد الله فيكم". قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام" فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله[٥]. وذكر ابن جرير في أسباب نزول الآية " إنما كان سبب

---

(١) عيون المناظرات صـ١٥٥.

(٢) سنن الترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة الرعد رقم ٣١١٧ جـ٥صـ٢٩٤، وقال الترمذي حديث حسن غريب.

(٣) يخترف: يجتنى من ثمارها أى يجمعه من أصوله. صحيح البخارى تعليق مصطفى البغا جـ٦صـ١٩.

(٤) سورة البقرة الآية ٩٧.

(٥) البخاري كتاب التفسير باب "من كان عدوًا لجبريل" حديث ٤٤٨٠ جـ٨صـ١٦٥.

قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته)[1].

جـ- مناظرة النبي ﷺ لعبد الله بن الزبعري السهمي:

جلس رسول الله ﷺ يومًا مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه وتلا عليه وعليهم ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ**﴾[2] ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبعري السهمي حتى جلس معهم فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزيعري: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفًا ولا قعد وقد زعم محمد: أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعري: أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدًا: كل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده، فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيزًا والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعري، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته) وأنزل الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ *لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ**﴾[3]. وعول ابن جرير الطبري في تفسيره في الجواب على أن (ما) لِمَا لا يعقل عند العرب. وقد أسلم عبد الله بن الزَّبَعرَى بعد ذلك وكان من الشعراء المشهورين، وقد كان يهاجي المسلمين أولاً ثم قال معتذرًا:

يا رسـول المليك إن لسـاني * راتـق ما فتقت إذ أنا بـور**
إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ** ومن مـال ميله مثبور)[4]

د- مناظرة النبي ﷺ لابن صياد:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عمر انطلق في رهط من أصحاب النبي قِبَلَ ابن

---

(١) جامع البيان جـ٢صـ ٢٨٣.

(٢) سورة الأنبياء الآيات ٩٨- ١٠٠.

(٣) سورة الأنبياء الآيات ١٠١- ١٠٢.

(٤) ينظر سيرة ابن هشام جـ١صـ ٣٥٨،وتفسير الطبري جـ٩صـ ٩٢/٩١، وتفسير ابن كثير جـ٣صـ ١٩٩/١٩٨، والتبيان في ديوان عبد الله بن الزبعري صـ ٣٦.

صياد، حتى وجده يلعب مع الغلمان عند أطم بني مغالة، وقد قارب يومئذ ابن صياد يحتلم، فلم يشعر بشيء حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده، ثم قال النبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله ؟ فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله ؟ قال له النبي ﷺ آمنت بالله ورُسُله. قال النبي ﷺ: ماذا ترى؟ قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، قال النبي ﷺ: خُلط عليك الأمرُ. قال النبيﷺ: إني خبأتُ لك خبيئًا، قال ابن صياد: هو الدُّخُّ، قال النبي ﷺ: إخسأ، فلن تعدو قدرك)[1].

قال ابن حجر: قوله (أشهد أنك رسول الأميين) فيه إشعار بأن اليهود الذين كان ابن صياد منهم كانوا معترفين ببعثة رسول الله ﷺ لكن يدعون أنها مخصوصة بالعرب، وفساد حجتهم واضح جدًا ؛ لأنهم إذا أقروا بأنه رسول الله استحال أن يكذب على الله، فإذا ادعى أنه رسوله إلى العرب وإلى غيرها تعين صدقه، فوجب تصديقه، وقوله: (إني قد خبأت لك خبئًا) أي أخفيت لك شيئًا. وقوله (الدُّخُّ) أي الدخان، وقيل أنه أراد أن يقول الدخان فلم يستطع فقال الدخ، وقيل أن النبي ﷺ خبأ له سورة الدخان. وحكى الخطابي أن الآية: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ**﴾[2] حينئذ كانت مكتوبة في يد النبي ﷺ فلم يهتد ابن صياد منها إلا لهذا القدر الناقص على طريقة الكهنة، ولهذا قال له النبي ﷺ: "لن تعدو قدرك" أي قد مثلك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء شياطينهم ما يحفظونه مختلطًا صدقه بكذبه، وحكى أبو موسى المديني أن السر في امتحان النبي ﷺ له بهذه الإشارة إلى أن عيسى بن مريم يقتل الدجال بجبل الدخان ورجح الخطابي أنه أخبأ له الدخ وهو نبت يكون بين البساتين، وقوله: "فلن تعدو قدرك" أي لن تجاوز ما قدر الله فيك أو مقدار أمثالك من الكهان)[3].

---

(١) البخاري كتاب الجهاد باب كيف يُعرض الإسلام على الصبي جـ٦صـ١٧٢ رقم ٣٠٥٥،ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة جـ٤صـ ٢٢٤٤ رقم ٢٩٣٠.

(٢) سورة الدخان الآية ١٠.

(٣) فتح الباري جـ٦صـ ٢٠٠- ٢٠١ بتصرف.

المبحث الثامن
أمثلة من مناظرة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

كان الصحابة رضي الله عنهم إذا اختلفوا احتكموا إلى رسول الله ﷺ حال حياته فلما قبض ﷺ ووقع بينهم خلاف في بعض الأمور الشرعية أرجعوا خلافهم إلى ما سمعوه من رسول الله ﷺ فإن لم يجدوا تناظروا فيما بينهم، كل واحد يعرض دليله وحجته ومن هذه المناظرات:

أ- المناظرة في سقيفة بني ساعدة

عن السيدة عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، فقال: بابي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يُذيقه الله الموتتين أبدًا، ثم خرج فقال: أيها الحلاف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال " قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[2] قال فنشج الناس يبكون، قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال خباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وانتم الوزراء. هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر

---

(١) سورة الزمر الآية ٣٠.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

بيده فبايعه وبايعه الناس)[١].

قال القرطبي: وتجادل أصحاب رسول الله ﷺ يوم السقيفة وتدافعوا وتناظروا، حتى صدر الحق في أهله)[٢].

ب- مناظرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي عبيدة في القدر

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد- أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، فنادى عمر في الناس: إن مُصبِّحٌ على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت إن كانت لك إبل هبطت واديًا له عدوتان: إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله، قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبًا في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه، قال فحمد الله عمر ثم انصرف)[٣]. قال الحافظ ابن حجر: " أبو عبيدة أشار أولاً بالرجوع ثم غلب عليه مقام التوكل لما رأى الكثير من المهاجرين والأنصار جنحوا إليه، فرجع عن رأي الرجوع، فناظر عمر في ذلك، فلما أقام عليه الحجة تبعه، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف بالنص، فرجعوا أجمعين إليه، وفي القصة، مشروعية المناظرة)[٤] ومعنى (بسرغ) قرية في طريق الشام مما يلي الحجاز (الأجناد) أي الجند، (الوباء) هو الطاعون، (مُصبِّح على ظهر) مسافر في الصباح)[٥].

ج- مناظرة عثمان بن عفان رضي الله عنه للخارجين عليه

عن أبي أمامة سهل بن حنيف أن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أشرف يوم الدار فقال: أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث:

---

(١) البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ: " لو كنت متخذاً خليلاً" ج٧ص١٩/٢٠ رقم ٣٦٦٧، ٣٦٦٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ٣صـ ٢٨٦.

(٣) البخاري كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون جـ١٠ صـ١٧٨ رقم ٥٧٢٨.

(٤) فتح الباري جـ١٠ صـ١٩٠.

(٥) شرح وتعليق مصطفى البغا جـ٧صـ ١٣٠ على صحيح البخاري.

زنا بعد إحصان، أو ارتداد بعد إسلام، أو قتل نفس بغير حق فقتل به" فوا الله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا ارتددت منذ بايعت رسول الله ﷺ ولا قتلت النفس التي حرم الله، فبم تقتلوني)[١].

فهذه مناظرة من سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يردهم عنه بالرجوع إلى سنة النبي ﷺ ويقيم عليهم الحجة في جرم ما سيفعلون.

د- مناظرة معاوية لأبي ذر رضي الله عنه في الكنز

قال أبو ذر رضي الله عنه: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[٢]. قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني فكتب إليَّ عثمان رضي الله عنه أن أقدم المدينة)[٣]. قال الحافظ ابن حجر: "وفيه ملاطفة الأئمة للعلماء، فإن معاوية لم يجسر على الإنكار عليه حتى كاتب من هو أعلى منه في أمره، وعثمان رضي الله عنه لم يحنق على أبي ذر رضي الله عنه مع كونه كان مخالفاً في تأويله)[٤].

وعن مناظرة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين يقول أبو محمد بن حزم: " وقد تحاج المهاجرون والأنصار وسائر الصحابة رضوان الله عنهم، وحاج ابن عباس رضي الله عنه الخوارج بأمر على رضي الله عنه، وما أنكر قط أحد من الصحابة الجدال في طلب الحق)[٥].

قال ابن مفلح: " فأما الجدال فمأمور به لقصد الحق، دل عليه القرآن، وفعله الرسول ﷺ، وفعله الصحابة والسلف، وذكره بعضهم إجماعًا)[٦].

---

(١) الترمذي كتاب الفتن باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث جـ٤صـ٤٦٠ رقم ٢١٥٨، وقال: حديث حسن واللفظ له، وأبو داود كتاب الديات باب الإمام يأمر بالعفو في الدم جـ٤صـ ٤٦٠ رقم ٤٥٠٢،والنسائي كتاب تحريم الدم باب ذكر ما يحل به دم المسلم جـ٧صـ ٩١ رقم ٤٠١٩.

(٢) سورة التوبة الآية ٣٤.

(٣) البخاري كتاب الزكاة باب ما أدى زكاته فليس بكنز جـ٣صـ ٢٧١ رقم ١٤٠٦.

(٤) فتح الباري جـ٣صـ ٢٧٥.

(٥) الإحكام في أصول الأحكام جـ١صـ ٢٨.

(٦) أصول الفقه جـ٣صـ ١٤١١ بتصرف.

الفصل الثانى
المُجْمَلْ والمبَيَّن

قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٢].

في الآية الأولى يخبر المولى عز وجل رسوله ﷺ أنه تكفل بحفظ القرآن وبيانه، وفي الآية الثانية يفهم منها: أن النبي ﷺ فهم القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، وعليه أن يبينه لأصحابه ولأمته بعد ذلك. وهذا معناه أن هناك نصوصًا في القرآن الكريم واضحة ومبينة ومفهومة للعامة والخاصة، ولكن هناك أيضًا آيات في القرآن الكريم تحتمل أكثر من معنى، فلابد من دليل يرجح معنى منها، وفي القرآن الكريم نصوص مجملة بينتها نصوص أخرى، فأزالت إبهامها، ووضحت المراد منها.

وسوف أتناول بالبحث موضوع المجمل والمبين في القرآن الكريم.

المبحث الأول
تعريف المجمل والمبين

أولاً: تعريف المجمل:

المجمل لغة: المُبهم والمجموع. وقيل: التحصيل)[٣].

واصطلاحًا: ورد في التعريف أقوال منها:

١- ما يتوقف فهم المراد منه على غيره، إما في تعيينه أو بيان صفته أو مقداره، مثال ما يحتاج إلى غيره في تعيينه: قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾[٤]. فإن القرء لفظ مشترك بين الحيض والطهر، فيحتاج في تعيين أحدهما إلى دليل. ومثال ما يحتاج إلى غيره في بيان صفته: قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ فإن كيفية إقامة الصلاة مجهولة تحتاج إلى بيان. ومثال ما يحتاج إلى غيره في بيان مقداره قوله تعالى:

---

(١) سورة الحجر الآية ٩.

(٢) سورة النحل آية ٤٤.

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه جـ٥صـ ٥٩.

(٤) سورة البقرة آية ٢٢٨.

﴿**وآتوا الزكاة**﴾ فإن مقدار الزكاة الواجبة مجهول يحتاج إلى بيان)[١].

٢- المجمل ما لم تتضح دلالته[٢].

٣- المجمل: ما أفاد شيئًا من جملة أشياء، هو متعين في نفسه

واللفظ لا يعينه)[٣] كقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَلاة**﴾ فلفظ (أقيموا) يفيد وجوب فعل متعين في نفسه غير متعين بحسب اللفظ، لهذا احتاج إلى مبين يبينه.

٤- المجمل هو المبهم الذي لا يتضح المراد منه إلا بقرينة شرعية تزيل إبهامه وتوضح المراد منه)[٤].

٥- اللفظ المجمل لا يدل بصيغته على المراد منه، ولا توجد قرائن لفظية أو حالية تبينه، بل لابد من الرجوع إلى الشارع نفسه لمعرفة المراد من اللفظ)[٥].

٦- عرف الآمدي المجمل " هو ما له دلالة على أحد أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه)[٦].

ثانيًا: تعريف المبَيِّن:

المبين لغة: المبيَّن " بالفتح " بمعنى البين الواضح وهو المقابل للمجمل لأنه المتضح معناه فلا يفتقر إلى بيان من خارج ويسمى البيان أيضًا، والمبيِّن بالكسر على زنة اسم الفاعل: هو الموضح لإجمال المجمل)[٧].

واصطلاحًا: هو ما يفرق بين الشيء وما يشاكله، فهو دلالة على المعنى المراد على سبيل البسط والتفصيل. وقيل: بأنه الذي دل على المراد بخطاب لا يستقل بنفسه في الدلالة على المراد")[٨].

---

(١) الأصول من علم الأصول جـ١صـ ٤٦.

(٢) الإتقان جـ٢صـ ٢٤،وعلم أصول الفقه جـ١صـ١٧٣.

(٣) المحصول جـ١صـ٢٣١.

(٤) دراسات في علوم القرآن جـ١صـ٢٣٢.

(٥) أصول السرخسي جـ١صـ١٦٨.

(٦) دراسات في علوم القرآن الكريم جـ١ـصـ٢٣٢.

(٧) مذكرة أصول الفقه جـ١صـ ٩.

(٨) المحصول جـ١ صـ٢٢٦.

وقيل: ما يفهم المراد منه، إما بأصل الوضع أو بعد التبيين. مثال ما يفهم المراد منه بأصل الوضع: لفظ سماء، أرض، جبل، عدل، ظلم، صدق، فهذه الكلمات ونحوها مفهومة بأصل الوضع، ولا تحتاج إلى غيرها في بيان معناها. ومثال ما يفهم المراد منه بعد التبيين قوله تعالى: ﴿**وآتوا الزكاة**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ فإن الإيتاء والإقامة كل منهما مجمل، ولكن الشارع بينهما، فصار لفظهما بيِّنًا بعد التبيين)[1].

وقيل: الكاشف عن المراد من الخطاب، وعلى هذا درج أكثر الأصوليين فخصوا البيان بإيضاح ما فيه من خفاء ومنهم من يطلقه على كل إيضاح سواء تقدمه خفاء أم لا)[2].

المبحث الثانى

أسباب الإجمال

ذكر العلماء أسباباً للإجمال أهمها:

١- الاشتراك، وذلك أن يكون اللفظ مشتركًا بين معنيين نحو قوله تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ**﴾[3] فإن لفظة "عسعس" تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما، ولذلك جاء في تفسير الآية الكريمة ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ**﴾ فيه قولان: "**أحدهما:** إقباله بظلامه، قال مجاهد: أظلم، **والثاني:** عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إذا أدبر، وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿**إِذَا عَسْعَسَ**﴾ إذا أدبر. وقال ابن كثير وعندي أن المعنى بقوله ﴿**عَسْعَسَ**﴾: إذا أقبل وإن كان يصح استعماله في الإدبار، لكن الإقبال ها هنا أنسب)[4].

ونحو قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾[5] قروء: "جمع قرء، ويطلق في كلام العرب على الطهر، وعلى الحيض، فهو من ألفاظ الأضداد، وأصل القرء: الاجتماع، وسمي الطهر قرءاً لاجتماع الدم في البدن، وسمي الحيض قرءاً لاجتماع الدم في الرحم. وذهب الحنفية والحنابلة: المراد بالقرء الحيض، وذهب المالكية والشافعية:

---

(١) الأصول من علم الأصول جـ١صـ ٤٧.

(٢) مذكرة أصول الفقه جـ١صـ٩.

(٣) سورة التكوير الآية ١٧.

(٤) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ٣٦٠.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٢٨.

المراد به الطهر)[١].

* ونحو قوله تعالى: ﴿**أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**﴾[٢] قيل في المعنى: المراد هو الزوج وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وقيل المراد: هو الولي وبه قال النخعي وعلقمة ومالك والشافعي في قوله القديم)[٣].

٢- الحذف: نحو قوله تعالى: ﴿**وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ**﴾[٤] يحتمل "في" و"عن"،جاء في تفسير الآية الكريمة عن السيدة عائشة رضي الله عنها: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ**﴾ قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها قد شركته في ماله بما شركته فيعضلها، فنزلت هذه الآية[٥] والمقصود: "أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحل له تزويجها، فتارة يرغب في أن يتزوجها، فأمره الله عز وجل أن يُمهرها أُسوة أمثالها من النساء، وتارة لا يكون للرجل فيها رغبة لدمامتها عنده أو في نفس الأمر، فنهاه الله عز وجل أن يعضلها عن الأزواج خشية أن يشركوه في ماله الذي بينه وبينها)[٦].

٣- اختلاف مرجع الضمير. نحو قوله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[٧] يحتمل عود ضمير الفاعل في "يرفعه" إلى ما عاد عليه ضمير "إليه" وهو "الله تعالى"، ويحتمل عوده إلى العمل.

والمعنى: "أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب: أي أن الكلم الطيب هو التوحيد يرفع العمل الصالح لأنه لا يصلح العمل إلا مع الإيمان)[٨].

٤- احتمال العطف والاستئناف نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ**

---

(١) التفسير المنير جـ٢صـ ٣١٨.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

(٣) تفسير فتح القدير جـ١صـ ٢٩١،الضرورى فى أصول الفقه،مختصر المستصفى جـ١صـ١٠٣..

(٤) سورة النساء الآية ١٢٧.

(٥) أخرجه البخارى كتاب تفسير القرآن باب تفسير سورة النساء جـ٣صـ١٢٢.

(٦) تفسير ابن كثير جـ٢صـ ٤٢٥.

(٧) سورة فاطر الآية ١٠.

(٨) الإتقان جـ٣صـ ٥٩.

فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾[١].

جاء في معنى الآية الكريمة[٢]: " وما يعلم تأويل المتشابه إلا الله، فهو مما استأثر الله بعلمه، أو ما خالف ظاهر اللفظ فيه المراد منه، فلا يعلم حقيقته إلا الله.

ويرى جماعة من الصحابة كأبي بن كعب وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم أجمعين، الوقوف على لفظ الجلالة، فلا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، وأما الراسخون في العلم فكلام مستأنف، يقولون: آمنا به لأنه تعالى وصفهم بالتسليم المطلق لله تعالى، ويرى جمهرة من الصحابة كابن عباس رضي الله عنه وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول أنه لا يوقف على لفظ الجلالة، والراسخون معطوف عليه،على معنى: لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، أما قوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ آمَنَّا**﴾ فهو كلام مستأنف، لا ينافي في العلم، فهم يجعلون المحكم هو الأساس، ويؤمنون بأن كلا من المحكم والمتشابه من عند الله، وكلاهما حق وصدق، وكل واحد منهما يصدق الآخر، ويدل لذلك أن النبي ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[٣].

٥- غرابة اللفظ: نحو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ**﴾[٤] جاء في معنى العضل أقوال منها "١- لا تحبسوهن. ٢- قيل العضل: التضييق والمنع، وقال الأزهري: أصل العضل من قولهم عضلت الناقة إذا نشب ولدها فلم يسهل خروجه، وكل مشكل عند العرب معضل، ويقال: أعضل الأمر إذا اشتد وداء عضال أي شديد عَسِرُ البرء أعيا الأطباء)[٥].

٦- عدم كثرة الاستعمال الآن: نحو قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[٦]. جاء في معنى الآية

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧.

(٢) التفسير المنير جـ٣صـ ١٥٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى فضائل الصحابة، فضائل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما جـ٢صـ٩٥٥ حديث ١٨٥٦ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، وأخرجه الحاكم فـ المستدرك كتاب الفضائل باب ذكر عبد الله بن عباس حديث ٦٢٨٠ جـ٣صـ٦١٥ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى: صحيح.

(٤) سورة النساء الآية ١٩.

(٥) تفسير القرطبي جـ٣صـ ١٥٩.

(٦) سورة الحج الآيتان ٨- ٩.

الكريمة "أما قوله تعالى: ﴿**ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ فاعلم أن ثنى العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصغير الخد وَلَىٍّ الجيد، وقوله: ﴿**لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ فأما القراءة بضم الياء فدلالة على أن هذا المجادل فعل الجدال وأظهر التكبر لكي يتبعه غيره فيضله عن طريق الحق، فجمع بين الضلال والكفر، وإضلال الغير)[1].

ونحو قوله تعالى: ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ**﴾[2] أي فأصبح الكافر يضرب إحدى يديه على الأخرى ندمًا ؛ لأن هذا يصدر من النادم)[3].

٧- التقديم والتأخير: نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى**﴾[4] "في الآية تقديم وتأخير، أي: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزامًا قاله قتادة، واللزام: الملازمة،أي لكان العذاب لازمًا لهم وأضمر اسم كان، قال الزجاج: (وأجل مسمى) عطف على "كلمة" والمراد: يوم القيامة وقيل تأخيرهم إلى يوم بدر)[5].

٨- قلب المنقول: نحو قوله تعالى: ﴿**وَطُورِ سِينِينَ**﴾[6] أي سيناء. ونحو قوله تعالى: ﴿**سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ**﴾[7].

٩- تخصيص العموم بصور مجهولة أو بصفة مجهول لقوله تعالى: ﴿**وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ**﴾[8] فإن تقييد الحلِّ بالإحصان، مع الجهل لما هو الإحصان، يوجب الإجمال فيما أحِلَّ)[9].

---

(١) تفسير الفخر الرازي جـ٢٣ صـ٢٠٧.

(٢) سورة الكهف الآية ٤٢.

(٣) تفسير القرطبى جـ١٠صـ٤١٠.

(٤) سورة طه الآية ١٢٩.

(٥) تفسير القرطبي جـ١١ صـ ٢٦٠.

(٦) سورة التين الآية ٣.

(٧) سورة الصافات الآية ١٣٠.

(٨) سورة النساء الآية ٢٤.

(٩) أسباب الإجمال ينظر الإتقان جـ٢صـ ٢٤- ٢٥ ودراسات في علوم القرآن جـ١ صـ ٢٣٢- ٢٣٤ بتصرف.

المبحث الثالث
أقسام المجمل والمبيِّن

أولاً: أقسام المجمل:

ينقسم المجمل إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما كان اللفظ فيه مجملاً لمعان كثيرة، ولم يكن حمله على بعضها أولى من الباقي.

الثاني: ما يحكم عليه بالإجمال، حال كونه مستعملاً في بعض موضوعه، فهو كالعام المخصوص بصفة مجملة، أو استثناء مجمل أو بدليل منفصل مجهول. مثال الصفة. قوله تعالى: ﴿**وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ**﴾[1].

فإنه تعالى لو اقتصر على ذلك لم يفتقر فيه إلى بيان، فلما قيده بقوله تعالى: ﴿**مُحْصِنِينَ**﴾ ولم ندر ما الإحصان، لم نعرف ما أبيح لنا لأن للإحصان معان عدة، إذ يطلق على الزواج، وعلى الإعفاف، وعلى الحرية، فكان هذا اللفظ مجملاً يحتاج إلى بيان، لكنه مبيَّن في الآية بقوله تعالى: ﴿**غَيْرَ مُسَافِحِينَ**﴾ فظهر أن المراد بالإحصان هو النكاح، ومثال الاستثناء قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾[2]، ومثال المنفصل المجهول: كما إذا قال الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿**اقتلوا المشركين**﴾ المراد بعضهم لا كلهم.

الثالث: ما يحكم عليه بالإجمال حال كونه مستعملاً، لا في موضوعه ولا في بعض موضوعه، فهو ضربان: **أحدهما:** الأسماء الشرعية، **والآخر** غيرها. مثال الأول: كما إذا أمرنا الشرع بالصلاة، ونحن لا نعلم انتقال هذا الاسم إلى هذه الأفعال، احتجنا فيه إلى بيان)[3].

وكذلك في باقي المجمل من أحكام الصلاة كبيان مواقيت الصلوات الخمس، وعدد ركعاتها، وكيفية ركوعها وسجودها وغير ذلك، وبيان مقادير الزكاة وأوقاتها وأنواعها،

---

(١) سورة النساء آية ٢٤.

(٢) سورة المائدة الآية ١.

(٣) دراسات في علوم القرآن جـ١صـ ٢٣٥.

وبيان أحكام الصيام،وبيان أحكام مناسك الحج، ولذا قال ﷺ: "خذوا عني مناسككم"[١] وقال ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[٢].

والثاني: الأسماء التي دلت الأدلة على أنه لا يجوز حملها على حقائها، وليس على حقائقها، وليس بعض مجازاتها أولى من بعض بحسب اللفظ فلابد من البيان)[٣].

ثانياً: أقسام المبيِّن

المبيِّن بتشديد الياء وكسرها قسَّمه الإمام الرازي إلى ثلاثة أقسام[٤]: **الأول:** بيان بالقول، وهو ظاهر. **والثاني:** بيان بالفعل، بأن يرد اللفظ في القرآن أو في السنة محتملاً لعدة معانٍ، فيعلم من كان مع النبي ﷺ أن أحد المعاني هو المراد، مستدلاً على ذلك بفعله ﷺ، ولا يعلم كون الفعل بياناً للمجمل إلا بأحد أمور ثلاثة:

أ- أن يعلم ذلك بالضرورة من قصده ﷺ.

ب- أن يعلم بالدليل اللفظي وهو أن يقول ﷺ هذا الفعل بيان لهذا المجمل، أو يقول أقوالاً يلزم من مجموعها ذلك.

جـ- أن يعلم ذلك بالدليل العقلي، وذلك أن يذكر المجمل وقت الحاجة إلى العمل به، ثم يفعل النبي ﷺ فعلا يصلح أن يكون بياناً له، ولا يفعل شيئاً آخر، فيعلم أن ذلك الفعل بيان للمجمل،وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

الثالث من أنواع المبين: الترك.

قال الإمام الرازي: اعلم أن الفعل يبيِّن الصفة، ولا يدل على وجوبها، وترك الفعل يبيِّن نفي وجوبه، وذلك على أربعة أضراب:

أحدها: أن يقوم من الركعة الثانية إلى الثالثة، ويمضي على صلاته، فيُعلم أن هذا التشهد ليس بشرط في صحة الصلاة، وإلا لم تصح مع عدم شرط الصحة، ويدل على أنه ليس بواجب أنهﷺ لا يجوز أن يتعهد ترك الواجب. **وثانيها:** أن يسكت عن بيان حكم الحادثة،

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الحج باب بيان قوله ﷺ (لتأخذوا مناسككم حديث ١٢٩٧ بلفظ "لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج غير حجتي هذه جـ٢صـ ٩٤٣.

(٢) البخاري كتاب الصلاة باب الآذان للمسافر إذا كانوا جماعة جـ١صـ١٢٨ رقم ٦٣١.

(٣) المحصول جـ١صـ ٢٣٣ وما بعدها بتصرف.

(٤) المصدر السابق جـ١صـ٢٦١.

فيُعلَم أنه ليس فيها حكم شرعي. **وثالثها:** أن يكون ظاهر الخطاب متناولاً له ولأمته على سواء، فإذا ترك الفعل: دل على أنه كان مخصوصًا من الخطاب، ولم يلزمه ما لزم أمته. **ورابعها:** أن يتركه بعد فعله إياه، فيعلم أنه قد نسخ عنه ﷺ،ثم ينظر فإن كان حكم الأمة حكمه ﷺ نسخ عنهم أيضًا، وإلا كان حكمهم بخلاف حكمه عليه الصلاة والسلام)[١].

المبحث الرابع

حكم المجمل

قال الشيخ العثيمين: يجب على المكلف عقد العزم على العمل بالمجمل متى حصل بيانه. والنبي ﷺ قد بيَّن لأمته جميع شريعته أصولها وفروعها، حتى ترك الأمة على شريعة بيضاء نقية ليلها كنهارها، ولم يترك البيان عند الحاجة إليه أبدًا. وبيانه ﷺ إما بالقول، أو بالفعل، أو بالقول والفعل جميعًا. مثال بيانه بالقول: إخباره عن أنصبة الزكاة ومقاديرها كما في فقوله ﷺ: " فيما سقت السماء العشر"[٢] بيانًا لمجمل قوله تعالى: ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ ومثال بيانه بالفعل لمجمل قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا**﴾[٣]، وكذلك صلاة الكسوف على صفتها، هي في الواقع بيان لمجمل قوله ﷺ: " فإذا رأيتم منها شيئًا فصلوا)[٤].

ومثال بيانه بالقول والفعل: بيانه كيفية الصلاة، فإنه كان بالقول

كما في حديث المسئ في صلاته حيث قال ﷺ: " إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر..)[٥].

وكان بالفعل أيضًا كما فى حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام على المنبر فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر.. الحديث وفيه ثم أقبل على الناس وقال: إنما فعلت هذا، لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي)[٦].

---

(١) المحصول جـ١صـ ٢٦١.

(٢) البخاري كتاب الزكاة باب العشر فيما يسقي من ماء السماء جـ٢صـ ١٢٦ رقم ١٤٨٣.

(٣) سورة آل عمران الآية ٩٧.

(٤) البخاري كتاب اللباس باب من جر إزاره من غير خيلاء رقم ٥٧٨٥ جـ٧صـ ١٤١.

(٥) البخاري كتاب الاستئذان باب من رد فقال عليك السلام رقم ٦٢٥١ جـ٨صـ٥٦.

(٦) البخاري كتاب الجمعة باب الخطبة على المنبر جـ٢صـ ٩ رقم ٩١٧.

ذكر د/ محمد بكر إسماعيل عند الحديث عن حكم المجمل "ينبغي التوقف في العمل بالمجمل، إلا إذا ورد من الشارع ما يزيل إجماله، ويكشف معناه، ووردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ألفاظ كثيرة مجملة في مواضع، مبينة في مواضع أخرى بياناً وافيًا، ووردت ألفاظ أخرى مجملة بعض البيان، فكانت هذه الألفاظ من قبيل المشكل الذي يحتاج إلى نظر وتأمل، لإزالة إشكاله ومعرفة المقصود منه، ومن النادر جدًا أن تجد ألفاظًا في القرآن الكريم غير واضحة الدلالة على المعنى المراد على وجه من الوجوه المعقولة. وقد أمرنا الله بتدبر آياته، فكان مقتضى ذلك الأمر أن تكون معانيه في مستوى إدراكنا على وجه مقبول شرعًا وعقلاً، حتى الأشياء التي اختص الله بعلمها لم يخف الله عز وجل عنا دلالتها على المعنى الذي يمكننا تصوره، على نحو يناسب عقولنا)[١].

وجاء في البرهان[٢] " اعلم أن القرآن والحديث أبدًا متعاضدان على استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة حتى أن كل واحد منهما يخصص عموم الآخر، ويبين إجماله، ثم منه ما هو ظاهر ومعه ما يغمض، وقد اعتني بإفراد ذلك بالتصنيف الإمام أبو الحكم ابن برجان في كتابه المسمى بالإرشاد وقال: ما قال النبيﷺ من شيء فهو في القرآن،وفيه أصله قرب أو بعد فهمه من فهمه، وعمه عنه من عَمِه، قال تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[٣]، ألا تسمع إلى قوله ﷺ في حديث الرجم "لأقضين بينكما بكتاب الله"[٤]، وليس في نص كتاب الله الرجم، وقد أقسم النبي ﷺ أن يحكم بينهما بكتاب الله، ولكن الرجم فيه تعريض مجمل في قوله تعالى: ﴿**وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ**﴾[٥]، وأما تعيين الرجم من عموم ذكر العذاب وتفسير هذا المجمل فهو مُبيَّن بحكم الرسول ﷺ وبأمره به، وموجود في عموم قوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ**﴾[٧]، وهكذا حكم جميع قضائه وحُكمه على طرقه التي أتت

(١) دراسات في علوم القرآن جـ١ صـ٣٣٧.

(٢) البرهان للزركشي جـ٢صـ ١٢٩- ١٣٠.

(٣) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الحدود باب الاعتراف بالزنا حديث ٦٨٢٧ جـ٨صـ١٦٧.

(٥) سورة النور الآية ٨.

(٦) سورة الحشر الآية ٧.

(٧) سورة النساء الآية ٨٠.

عليه،وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده، وبذل وسعه ويبلغ منه الراغب فيه حيث بلغه ربه تبارك وتعالى، لأنه واهب النعم ومقدر القسم،وهذا البيان من العلم جليل، وقد نبهنا ﷺ على هذا المطلب في مواضع كثيرة من خطابه: منها حين ذكر ما أعد الله تعالى لأوليائه في الجنة فقال ﷺ: فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر "[١] ثم قال اقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾[٢] ومنها: قالوا يا رسول الله: ألا نتكلُ ونَدعُ العمل، فقال ﷺ: " اعملوا فكلُ ميسر لما خُلق له "[٣] ثم قرأ ﷺ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾[٤] ووصف الجنة فقال ﷺ: " فيها شجر يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها "[٥] ثم قال ﷺ: " اقرءوا إن شئتم ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾[٦].

وقيل فى حكم العمل بالمجمل " المجمل يتوقف عن العمل به حتى يرد دليل يعين المراد، وعلى المكلف عقد العزم على العمل بالمجمل متى حصل بيانه. قال الطوفى فى شرح مختصر الروضة[٧] قوله: (وحكمه التوقف على البيان الخارجى" أى: وحكم المجمل أن يتوقف فيه على الدليل المبين للمراد به، خارجًا عن لفظه، كما أن حكم النص والظاهر المبادرة إلى العمل بما ظهر منهما، ولأن الله تعالى لم يكلفنا العمل بما لا دليل عليه، والمجمل لا دليل على المراد به، فلا نكلف بالعمل به. فهذا على أنه لا يلزمنا العمل بالمجمل، والدليل على أنه لا يجوز لنا ذلك أيضًا: هو أن فى العمل به تعرضًا بالخطأ فى

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها حديث ٢٨٢٤ جـ٤صـ ٢١٧٥.

(٢) سورة السجدة الآية ١٧.

(٣) أخرجه البخاري كتاب التفسير تفسير سورة الليل حديث ٤٩٤٩ جـ٦صـ١٧١.

(٤) سورة الليل الآيات ٥- ١٠.

(٥) مسلم كتاب صفة الجنة ونعيمها باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام جـ٤صـ ٢١٧٥ بدون (وظل ممدود) وأخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة الجنة باب في صفة شجر الجنة وفيه وقال: "ذلك الظل" حديث ٢٥٢٤ جـ٤صـ ٦٧١.

(٦) سورة الواقعة الآية ٣٠.

(٧) جـ٢صـ٦٥٥.

حكم الشرع والتعرض بالخطأ فى حكم الشرع لا يجوز)[١].

المبحث الخامس

طرق التبيين

قد يأتي التبيين متصلاً بالمجمل وقد يأتي منفصلاً في آية أخرى: مثال الأول قوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾[٢] قوله تعالى ﴿**مِنَ الْفَجْرِ**﴾ بين المراد من قوله تعالى: ﴿**الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ**﴾. ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**﴾[٣]. جاءت بعد قوله تعالى: ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ**﴾[٤] فإنها بينت أن المراد به: الطلاق الذي تملك الرُجعة بعده، ولولاها لكان الكل منحصرًا في الطلقتين)[٥].

وقوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ *إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[٦] دال على جواز الرؤية،ويفسره أن المراد بقوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾[٧] قال: لا تحيط به. وقوله تعالى: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾[٨] فسره قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ..**﴾[٩].

وقد يقع التبيين بالسنة النبوية الشريفة مثل قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ و﴿**آتوا الزكاة**﴾ و﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**﴾[١٠] فقد بنيت السنة النبوية الشريفة أفعال الصلاة والحج ومقادير الزكاة وأنواعها والأمثلة كثيرة في هذا المجال، جاء في سنة النبيﷺ أنه ﷺ

---

(١) المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول جـ١صـ١٤٦، وقواطع الأدلة فى الأصول جـ١صـ٢٦٤، والبحر المحيط فى أصول الفقه جـ٥صـ٦٢ بمعناه.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٠.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٩.

(٥) الإتقان للسيوطي جـ٢صـ٢٥.

(٦) سورة القيامة الآية ٢٣.

(٧) سورة الأنعام الآية ١٠٣.

(٨) سورة المائدة الآية ١.

(٩) سورة المائدة الآية ٣.

(١٠) سورة آل عمران الآية ٩٧.

فسر[١] الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[٢]، وقال ﷺ تأييدًا لتفسيره قول المولى عز وجل: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[٣] وفسر الحساب اليسير بالعرض حين قال ﷺ: " من نوقش الحساب هلك، فقالت له السيدة عائشة رضي الله عنها: أو ليس قد قال الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا**﴾[٤] فقال ﷺ: " ذلك العرض "بيانًا للحساب اليسير[٥].

المبحث السادس

بيان لبعض الآيات المختلف فيها هل هي من قبيل المجمل أو لا

أفرد الإمام السيوطي عنوانًا لهذا الموضوع وصوره بتبينه على بيان لبعض هذه الآيات المختلف فيها قال: "منها آية السرقة وهي قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾[٦] "قيل إنها مجملة في اليد لأنها تطلق على العضو إلى الكوع وإلى المرفق وإلى المنكب. وفي القطع لأنه يطلق على الإبانة، وعلى الجرح، ولا ظهور لواحد من ذلك،وإبانة الشارع من الكوع تبين أن المراد ذلك. وقيل: لا إجمال فيها لأن القطع ظاهر في الإبانة[٧].

وذكر الإمام الفخر الرازي فى معنى الآية الكريمة: " قال كثير من المفسرين الأصوليين: هذه الآية مجملة من وجوه: أحدها:أن الحكم معلق على السرقة، ومطلق السرقة غير موجب للقطع، بل لابد وأن تكون هذه السرقة سرقة لمقدار مخصوص من المال،وذلك القدر غير مذكور في الآية فكانت مجملة،وثانيها: أنه تعالى أوجب قطع الأيدي،وليس فيه بيان أن الواجب قطع الأيدي الأَيمانِ والشَّمَائِلِ،وبالإجماع لا يجب قطعهما معًا فكانت الآية مجملة، وثالثها: أن اليد اسم يتناول ألأصابع فقط، ألا ترى أنه لو حلف لا يمس فلانًا بيده

---

(١) البخارى كتاب التفسير تفسير قوله تعالى ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ رقم ٤٧٧٦ جـ٦صـ١١٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ٨٢.

(٣) سورة لقمان الآية ١٣.

(٤) سورة الانشقاق الآيات ٧: ٩.

(٥) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة الانشقاق جـ٦صـ ١٦٧ بلفظ مقارب، وأخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة باب ما جاء في العرض جـ٤ صـ ٦١٧ واللفظ له.

(٦) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٧) الإتقان جـ٢صـ ٢٦.

فمسه بأصابعه فإنه يحنث في يمينه، فاليد اسم يقع على الأصابع وحدها،ويقع على الأصابع مع الكف،ويقع على الأصابع والكف والساعدين إلى المرفقين،ويقع على كل ذلك إلى المنكبين وإذا كان اليد محتملاً لكل هذه الأقسام، والتعيين غير مذكور فهذه الآية مجملة. ورابعها: أن قوله: ﴿**فَاقْطَعُوا**﴾ خطاب مع قوم، فيحتمل أن يكون هذا التكليف واقعًا على مجموع الأمة، وأن يكون واقعًا على طائفة مخصوصة منهم، وأن يكون واقعًا على شخص معين منهم، ولما لم يكن التعيين مذكورًا في الآية كانت الآية مجملة. وقال قوم من المحققين: الآية ليست مجملة،وذلك لأنَّا بَيَّنَّا أَنَّ الألف واللام في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ**﴾ قائمًا مقام (الذي) والفاء في قوله تعالى: ﴿**فَاقْطَعُوا**﴾ للجزاء، فكان التقدير الذي سرق فاقطعوا يده، ثم تأكد هذا بقوله تعالى: ﴿**جزاءً بما كسبا**﴾ وذلك الكسب لابد وأن يكون المراد به ما تقدم ذكره وهو السرقة، فصار هذا دليلاً على أن مناط الحكم ومتعلقة هو ماهية السرقة ومقتضاه أن يعم الجزاء فيما حصل هذا الشرط، اللهم إلا إذا قام دليل منفصل يقتضي تخصيص هذا العام، وأما قوله (الأيدي) عامة فنقول: مقتضاه قطع الأيدي لكنه لما انعقد الإجماع على أنه لا يجب قطعهما معًا،ولا الابتداء باليد اليسرى ــخرجناه عن العموم..) ورجح الإمام الفخر الرازي أن الآية عامة وليست مجملة فقال:" والحاصل أنا نقول: الآية عامة، فصارت مخصوصة بدلائل منفصلة في بعض الصور فتبقى حجة فيما عداها)[1].

ومنها قوله تعالى: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**﴾[2] قيل إنها مجملة لترددها بين مسح الكل والبعض،ومسح الشارع الناصية مُبَيِّنٌ لذلك وأن الإجمال فى الحرف لاحتمال من للتبعيض ولابتداء الغاية ولذا حمله أحمد والشافعى على الأول وحمله مالك وأبو حنيفة على الثانى، وقيل لا وإنما هي لمطلق المسح الصادق بأقل ما يطلق عليه الاسم ويفيده. ومنها قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ**﴾[3] قيل: مجملة لأن التحريم إلى العين لا يصح لأنه إنما يتعلق بالفعل فلابد من تقديره وهو محتمل لأُمُورٍ لا حاجة إلى جميعها، ولا مرجح لبعضها، وقيل: لا، لوجود المرجح وهو العرف،فإنه يقضي بأن المراد تحريم الاستمتاع بوطء أو

(١) تفسير الفخر الرازي جـ١١صـ ٣٥٢- ٣٥٣ بتصرف.

(٢) سورة المائدة الآية ٦.

(٣) سورة النساء الآية ٢٣.

نحوه، ويجري ذلك في كل ما عُلِّق فيه التحريم والتحليل بالأعيان[١] والمقصود بالأعيان هنا: هو قوله تعالى: ﴿**أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأخِ وَبَنَاتُ الأخْتِ..**﴾[٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾[٣].

قيل: مجملة لأن الربا الزيادة، وما من بيع إلا وفيه زيادة، فافتقر إلى بيان ما يحل وما يحرم، وقيل لا، لأن البيع منقول شرعًا فحمل على عمومه ما لم يقم دليل التخصيص. وقال الماوردي: للشافعي في هذه الآية أربعة أقوال: **أحدهما:** أنها عامة فإن لفظها لفظ عموم يتناول كل بيع ويقتضي إباحة جميعها إلا ما خصه الدليل، وهذا القول أصحها عند الشافعي وأصحابه لأنه ﷺ نهى عن بيوع كانوا يعتادونها ولم يبين الجائز فدل على أن الآية تناولت إباحة جميع البيوع إلا ما خص منها فبين ﷺ المخصوص.

القول الثاني: أنها مجملة لا يُعقَلُ منها صحة بيع من فسادِه إلا ببيان النبي ﷺ.

القول الثالث: أنه كان مجملاً فلما بينه النبي ﷺ صار عامًا، فيكون داخلاً في المجمل قبل البيان،وفي العموم بعد البيان فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها في البيوع المختلف فيها.

والقول الرابع: أنها تناولت بيعًا معهودًا،ونزلت بعد أن أحل النبي ﷺ بيوعًا وحرم بيوعًا فاللام للعهد فعلى هذا لا يجوز الاستدلال بظاهرها)[٤].

وقال الاستاذ مناع القطان[٥]: وخصت الآية الكريمة: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾[٦] بما ورد عن رسول الله ﷺ فقد خص من البيع البيوع الفاسدة، كما ورد في

---

(١) الاتقان جـ٢صـ ٢٦، ومذكرة أصول الفقه. الجامعة الإسلامية جـ١صـ٨، واللمع فى أصول الفقه للشيرازى جـ١صـ٥١.

(٢) سورة النساء الآية ٢٣.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٥.

(٤) الاتقان جـ٢صـ ٢٧ بتصرف، والتبصرة فى أصول الفقه لأبى إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى جـ١صـ٢٠٠ تحقيق د/محمد حسن هيتو بمعناه.

(٥) مباحث في علوم القرآن صـ ٢٣٣.

(٦) سورة البقرة الآية ٢٧٥.

الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع حَبَل الحبَلَةِ "[١] وكان بيعًا تبتاعه الجاهلية، كان الرجل بيتاع الجزور إلى أن تنتج الناقة ثم تنتج التي في بطنها.

ورخص ﷺ من الربا العرايا الثابتة بالسنة الشريفة فإنها مباحة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رخص في بيع العرايا[٢] بخرصها[٣] فيما دون خمسة أوسق[٤] أو في خمسة أوسق)[٥].

* * *

(١) أخرجه البخاري كتاب البيوع باب بيع الغرر وحَبَلِ الحَبَلةِ جـ٢صـ ١٧.

(٢) العرايا: قال مالك: العَرِية: أن يُعْرِيَ الرجلُ الرجل النخلة ثم يتأذى بدخوله عليه، فرخص أن يشتريها منه بتمر، وقيل: العَرِيَّة لا تكون إلا بالكيل من التمر يدًا بيد، وقيل: العرايا نخل كانت توهب للمساكين فلا يستطيعون أن ينتظروا بها، رَخَّص لهم أن يبيعوها بما شاءوا من التمر، والبخاري كتاب البيوع باب تفسير العرايا جـ٢صـ ٢٢،ـ ٢٣.

(٣) بخرصها: أصل الخرص التظني فيما لا تستيقنه، ومنه خَرصُ النخل والكرم إذا حَزَرتَ التمر ؛ لأن الحَرزَ إنما هو تقدير بظن لا إحاطة، وكان النبي ﷺ يبعث الخُرَّاصَ على نخل خيبر عند إدراك ثمرها فيحزرونه رطبًا كذا، وتمرًا كذا، ثم يأخذهم بمكيله ذلك من التمر الذي يجب له ﷺ وللمساكين. انظر لسان العرب جـ٢صـ ١١٣٣ مادة خرص.وقيل هى ما يعادل ١٦٥,٠٦ كيلو جراماً قاله ابن الأثير فى النهاية جـ٣صـ٢٢٤.

(٤) أوسق: الوَسْقُ والوسقُ: مكيلة معلومة، وقيل: هو حمل بعير، وهو ستون صَاعًا بصاعَ النبي ﷺ،وهو خمسة أرطال وثلث، قال الزجاج: خمسة أوسقُ هي خمسة عشر قفيزا. انظر لسان العرب جـ٦ صـ٤٨٣٦ مادة وسق.

(٥) أخرجه البخاري كتاب البيوع باب تفسير العرايا جـ٢صـ ٢٢- ٢٣.

الخاتمة

الحمد لله الذى أنزل كتابه هدىً للعالمين، وتبصرةً للمتقين، ومحجةً للسالكين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فإن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ليهديهم إلى الصراط المستقيم، وهم عرب خُلَّص فيفهمونه بسليقتهم، وإذا التبس عليهم فهم آية من الآيات سألوا رسول الله ﷺ وخاطب المولى عز وجل عباده بأساليب كثيرة ومتعددة يخاطبهم المولى عز وجل حسب استعدادهم النفسى وانقيادهم للحق، والنفس الإنسانية متعددة الأطوار تختلف باختلاف الطبائع، وحسب درجة إيمانها.

ومن أساليب القرآن الكريم أسلوب الجدل والذى خلق الخلق جميعاً يعلم أن من طبيعة الإنسان الجدل قال تعالى: ﴿**وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا**﴾[1] فجاء الخطاب القرآنى فى بعض آياته بأسلوب الجدال مع الخصم، وعرض الجدال القائم بين الأنبياء وأممهم، وأمر رسوله سيدنا محمد ﷺ أن يجادل المشركين بالطريقة الحسنة قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[2].

وهناك حقائق ظاهرة جلية لا يمكن لمن يشاهدها أن ينكرها وهى واضحة لا تحتاج إلى مجادلة لإثباتها، ولكن هناك من الناس من يعلم حقائق الأشياء، ويعلم الحق من الباطل، ويمنعه كبره وعناده من الاعتراف بالحق وقد يسلك هذا الإنسان المكابر طريق الجدال والمخاصمة لإنكار الحق فجاء الخطاب القرآنى بما يقارعه الحجة والاستدراج حتى يعترف بما ينكر، فأسلوب الجدل من الأساليب القرآنية التى خاطب بها المولى عز وجل عباده فى باب من أبواب الدعوة إلى الله عز وجل، ومعارضه المنكر بأسلوب مقنع واستدلال ملزم وجدل محكم.

ومن المعلوم أيضاً أن هناك آيات كثيرة وردت فى القرآن مجملة، لا يمكن فهم معناها إلا بالرجوع إلى آيات أخرى تفسرها وتوضحها، أو الرجوع إلى آحاديث النبى ﷺ تبين ما أجمل فيها. وهو ما يعرف فى علوم القرآن بالمجمل والمبين فما جاء مجملاً فى آية من

---

(١) سورة الكهف الآية ٥٤.

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥.

آيات القرآن الكريم نجده مفسراً فى آية أخرى، أو فى حديث من أحاديث النبى ﷺ فالسنة النبوية الشريفة مبينة وموضحة لما أجمل فى كتاب الله عز وجل، ولا يمكن لمن يفسر كتاب الله عز وجل إلا وأن يكون على علم ودراية بهذا المبحث المهم من مباحث علوم القرآن.

وأخيراً أسأل المولى عز وجل أن ينفعنا بما جاء فى هذين الفصلين، وأقدم اعتذارى عن كل تقصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

فهرس المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقى. مؤسسة جمال للنشر. بيروت. لبنان.

٣- موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف. محمد السيد بسيونى بن زغلول. طبعة دار الكتب العلمية. بيروت.

أولاً: كتب التفسير وعلومه:

٤- تفسير ابن كثير. طبعة الشعب.

٥- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى. طبعة دار إحياء التراث العربى.

٦- فى ظلال القرآن. الآستاذ سيد قطب. طبعة دار الشروق.

٧- الكشاف للإمام الزمخشرى. طبعة شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبى.

٨- التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج د / وهبه مصطفى الزحيلى. طبعة دار الفكر المعاصر. بيروت. دمشق. الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.

٩- تفسير الإمام القرطبى. طبعة دار الكتب المصرية. الطبعة الثانية ١٩٦٤ م. تحقيق أحمد البردونى.

١٠- تفسير الإمام الطبرى. تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر.

١١- تفسير فتح القدير للإمام الشوكانى.

١٢- تفسير الإمام المراغى.

١٣- معالم التنزيل فى تفسير القرآن للإمام البغوى. تحقيق عبد الرزاق المهدى. طبعة أولى. دار إحياء التراث العربى.

ثانياً: كتب الحديث وعلومه:

١٤- صحيح الإمام البخارى. طبعة دار الفكر. طبعة دار الحديث، ودار طوق النجاة ودار المعرفة. بيروت.

١٥- صحيح الإمام مسلم. طبعة دار الحديث. طبعة دار إحياء الكتب العربية.

١٦- سنن الترمذى. طبعة دار الكتب العلمية.

١٧- سنن أبى داود. طبعة المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

١٨- المستدرك للحاكم. طبعة دار المعرفة. بيروت.ودار الكتب العلمية.
١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل. طبعة الرسالة.
٢٠- السنن الكبرى للبيهقى. طبعة دار الفكر للطباعة والنشر.

ثالثاً: كتب علوم القرآن:

٢١- الإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى. طبعة مكتبة مصطفى الحلبى.وطبعة دار المعرفة- بيروت / لبنان.
٢٢- البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابى الحلبى وشركاه.
٢٣- مباحث فى علوم القرآن. الدكتور مناع خليل القطان. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض. الطبعة الثالثة.
٢٤- مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى. الطبعة الثالثة.
٢٥- دراسات فى علوم القرآن. أ. د / محمد بكر إسماعيل.
٢٦- استخراج الجدال من القرآن الكريم. تأليف عبد الرحمن بن نجم الدين بن عبد الوعاب الجزرى السعدى العبادى ابن الحنبلى. تحقيق د / زاهر بن عواض الألمعى.
٢٧- أصول السرخسى.
٢٨- لسان العرب لابن منظور. طبعة دار المعارف.
٢٩- المكتبة الشاملة / موقع المكتبة على النت:
http.www.shamela.
الإصدار ٣/٣٦- w.s

رابعًا: كتب أصول الفقه والفقه وكتب عامة:

٣٠ ــ شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال / العز بن عبد السلام. تحقيق إياد الطباع دار الفكر. دمشق.
٣١ ــ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية. مطبعة المدني ــ القاهرة.
٣٢ ــ الجذل في الجدل / نجم الدين الطوفي. تحقيق / فولنهارت هايزيش دار النشر فرائز شتاينر سنة ١٩٨٧م.
٣٣ ــ مفتاح دار السعادة / ابن القيم الجوزية دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٣٤ ــ آداب البحث والمناظرة / محمد الأمين الشنقيطي مكتبة ابن تيمية القاهرة.
٣٥ ــ الإحكام في أصول الأحكام. على بن أحمد بن حزم ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ط أولى.
٣٦ ــ الفقيه والمتفقة / أحمد بن علي بن ثابت البغدادي. دار الكتب العلمية ــ بيروت. تحقيق إسماعيل الأنصاري ط ثانية.
٣٧ ــ الرد على من أنكر الحرف والصوت/لأبي نصر عبيد الله بن سعيد السجزي ــ تحقيق محمد كريم ــ دار الراية. الرياض ط أولى.
٣٨ ــ أصول الفقه / محمد بن مفلح المقدسي ــ تحقيق د/ فهد السدحان ــ مكتبة العبيكان. الرياض ط أولى.
٣٩ ــ التراتيب الإدارية / عبد الحي الكتاني دار الكتاب العربي ــ بيروت.
٤٠ ــ إبطال الحيل لابن بطة.
٤١ ــ المقاصد الحسنة للسخاوي ــ تحقيق محمد عثمان الخشت ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ط أولى.
٤٢ ــ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري ــ تحقيق رضا بن نعسان دار الراية الرياض ط أولى.
٤٣ ــ الحجة البالغة / الدهلوي تحقيق محمود طعمة دار المؤيد ــ الرياض ط أولى.
٤٤ ــ شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري ــ تحقيق خالد بن قاسم الردادي الناشر ــ دار السلف ط ثانية.
٤٥ ــ درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ــ تحقيق محمد رشاد سالم ــ مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة.
٤٦ ــ الشريعة للآجري ــ تحقيق الوليد بن محمد الناصر. مؤسسة قرطبة مصر. ط أولى.
٤٧ ــ ذم الكلام للهروي ــ تحقيق عبد الرحمن الشبل ــ مكتبة العلوم والحكم المدينة ط أولى.
٤٨ ــ الآداب الشرعية والمنح المرعية. محمد بن مفلح المقدسي مؤسسة قرطبة ــ القاهرة.

٤٩ ــ القسطاس المستقيم،لأبي حامد الغزالي ط ثالثة ــ تحقيق فيكتور شلحت.
٥٠ ــ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهيمة للإمام ابن تيمية.
٥١ ــ الواضح في أصول الفقه /ابن عقيل الحنبلي ــ تحقيق د/عبد الله التركي مؤسسة الرسالة ــ بيروت ط أولى.
٥٢ ــ مجموع الفتاوى لابن تيمية مؤسسة قرطبة ــ القاهرة.
٥٣ ــ بدائع الفوائد / لابن القيم الجوزية.
٥٤ ــ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب / ياقوت الحموي الرومي. دار الغرب الإسلامي ط بيروت.
٥٥ ــ إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم الجوزية، المكتبة العصرية ــ بيروت.
٥٦ ــ إحياء علوم الدين للغزالي ــ مكتبة مصطفى البابي القاهرة.
٥٧ ــ الكافية في الجدل / إمام الحرمين الجويني تحقيق د/ فوقية حسن الناشر مكتبة الكليات الزهرية ــ القاهرة.
٥٨ ــ السنة / لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال تحقيق د/ عطية الزهراني دار الراية الرياض ط أولى
٥٩ ــ جامع العلوم والحكم / الحافظ ابن رجب الحنبلي دار عمر بن الخطاب ــ مصر
٦٠ ــ المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم / لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي دار ابن كثير دمشق ط أولى.
٦١ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني وطبعة البشائر ــ بيروت.
٦٢ ــ الموافقات في أصول الشريعة / إبراهيم بن موسى الشاطبي ــ تحقيق عبد الله دراز ط دار المعرفة ــ بيروت.
٦٣ ــ الجدل على طريقة الفقهاء / على بن عقيل الحنبلي ــ تحقيق د/ علي العميدني مكتبة التوبة الرياض ط أولى.
٦٤ ــ أصول الجدل والمناظرة/ الميداني دار القلم ــ دمشق ط الرابعة.
٦٥ ــ بهجة المجالس وأنس المجالس / يوسف بن عبد الله بن عبد البر دار الكتب

العلمية ــ بيروت تحقيق محمد الخولي.

٦٦ ــ المنهاج بترتيب الحجاج /لأبي الوليد الباجي ــ تحقيق عبد المجيد تركي دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ط ثانية.

٦٧ ــ أدب المفتي والمستفتي / تقي الدين ابن الصلاح ــ تحقيق د/ موفق عبد الله عبد القادر / مكتبة العلوم والحكم ط ثانية.

٦٨ ــ عيون المناظرات / لأبي على عمر السكوتي ــ تحقيق سعد غراب منشورات الجامعة التونسية.

٦٩ ــ المحصول / فخر الدين الرازي ــ تحقيق د/ ط جابر فياض / مؤسسة الرسالة ط ثانية.

٧٠ ــ قواطع الأدلة في الأصول / السمعاني تحقيق محمد حسن الشافعي دار الكتب العلمية ط أولى.

٧١ ــ علم أصول الفقه / عبد الوهاب خلاف / مكتبة الدعوة / الطبعة الثامنة.

٧٢ ــ البحر المحيط في أصول الفقه/ الزركشي دار الكتبي ط أولى.

٧٣ ــ الأصول من علم الأصول / محمد بن صالح بن محمد العثيمين ــ دار ابن الجوزي دار الإيمان للطبع والنشر الاسكندرية.

٧٤ ــ مذكرة أصول الفقه/ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ــ مكتبة العلوم والحكم المدنية ــ الطبعة الخامسة.

٧٥ ــ الضرورة في أصول الفقه ــ مختصر المستصفى لأبي اللويد محمد بن رشد الحفيد ــ تحقيق جمال الدين العلوي ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ط أولى.

٧٦ ــ المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول لأبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي ط أولى ــ المكتبة الشاملة

٧٧ ــ قواطع الأدلة في الأصول / السمعاني التميمي تحقيق محمد حسن محمد حسن الشافعي دار الكتب العلمية ط أولى.

٧٨ ــ اللمع في أصول الفقه للشيرازي / دار الكتب العلمية.

٧٩ ــ التبصرة في أصول الفقه للشيرازي تحقيق د/ محمد حسن هنيو / دار الفكر دمشق ط أولى.

٨٠ ــ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء د/ محمد بن حبان البستي تحقيق محمد حامد الفقي مكتبة السنة المحمدية.

٨١ ــ أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة / د أحمد بن إبراهيم العثمان، دار ابن حزم ط ثانية.

٨٢ ــ التعريفات / علي بن محمد الجرجاني دار الكتاب العربي بيروت ط ثانية.

٨٣ ــ تهذيب الأسماء واللغات للنووي دار الكتب العلمية.

٨٤ ــ أبجد العلوم صديق حسن خان دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٨٥ ــ النبوات لابن تيمية تحقيق د/ عبد العزيز الطويان ــ مكتبة أضواء السلف ــ الرياض ط أولى.

٨٦ ــ شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال / العز بن عبد السلام ــ تحقيق إياد الطباع ــ دار الفكر دمشق ١٤١٨هـ.

٨٧ ــ الأتباع لابن أبي العز الحنفي.

٨٨ ــ فضل علم السالف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي.

٨٩ ــ سير أعلام النبلاء / محمد بن أحمد عثمان الذهبي ــ تحقيق شعيب الأرناؤوط ط مؤسسة الرسالة ــ بيروت ط رابعة.

* * *

فهرس الموضوعات

المقدمة ٣١١
الفصل الأول: جدل القرآن الكريم..... ٣١٣
المبحث الأول: تعريف الجدل..... ٣١٤
المبحث الثانى: أنواع الجدال..... ٣١٨
المبحث الثالث: حكم الجدال شرعاً..... ٣٢٩
المبحث الرابع: آداب الجدال..... ٣٣٦
المبحث الخامس: عرض لبعض صور الجدال فى القرآن الكريم..... ٣٤١
المبحث السادس: عرض جدال بعض الأنبياء عليهم السلام مع قومهم..... ٣٤٨
المبحث السابع: عرض أدلة نبوة سيدنا محمد ﷺ وأنه رسول رب العالمين وعرض بعض أمثلة من مجادلة قومه وأهل الكتاب معه ﷺ..... ٣٥٦
المبحث الثامن: أمثلة من مناظرة الصحابة رضى الله عنهم أجمعين..... ٣٦٢
الفصل الثانى: المجمل والمبين ٣٦٥
المبحث الأول: تعريف المجمل والمبين..... ٣٦٥
المبحث الثانى: أسباب الإجمال ٣٦٧
المبحث الثالث: أقسام المجمل والمبين ٣٧١
المبحث الرابع: حكم المجمل..... ٣٧٣
المبحث الخامس: طرق التبيين..... ٣٧٦
المبحث السادس: بيان لبعض الآيات المختلف فيها هل هى من قبيل المجمل أو لا ٣٧٧
الخاتمة ٣٨١
فهرس المراجع..... ٣٨٣
فهرس الموضوعات..... ٣٨٩

* * *